جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

آيات سجود التلاوة
دراسة تحليلية موضوعية

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية ـ تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الطالبة:
سارة العاتي

المشرف:
أ_ مصباح موساوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
خالد حباسي	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
موساوي مصباح	أستاذ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
شكيمة عبد القادر	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1437– 1438هـ/ 2016– 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾

[الرعد،15]

الإهداء:

إلى أهل الله وخاصته، حفظة كتاب الله ودارسيه . . .

إلى القلب الذي احتواني ورعاني، ودعا لي سرا وعلنا، فكُتِب لي التوفيق بذاك الدعاء، والديّ الكريمين:

أمي ثم أمي ثم أمي، ثم أبي . .

إلى الرجل نعم السند، زوجيَ العزيز: عبد النّاصر . . .

إلى القلوب التي كبرت معي . . .

شقيقاتي: خديجة ،حدة، جميلة . . .

أشقائي: حسين، حسن، عمار، بوبكر، وصالح . . .

إلى خير صحبة، صديقاتي الغاليات، وزميلات الدراسة . . .

وإلى كل طالب علم يبتغي به وجه ربه، خاصة طلبة علوم القرآن والتفسير دفعة 2017م

أهديكم هذا الجهد، وأسأله تعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم . . .

الطالبة: سارة العاتي

الشكر والعرفان:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل،19]

في هذا المقام، لا يسعنا إلا أن نحمد الله ونسجد له شاكرين، على منّه وإكرامه لنا، أن سهّل لنا انجاز هذا البحث، بتيسيره وعونه.

ثم نتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان سندا لنا، وكل من مدنا بيد العون.

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف: موساوي مصباح

وكل أساتذة ودكاترة العلوم الإسلامية حفظهم الله ورعاهم.

الطالبة: سارة العاتي.

ملخص:

يتناول البحث موضوع آيات سجود التلاوة دراسة تحليلية موضوعية، حيث يهدف إلى دراسة هذه الآيات المخصوصة، باتباع منهج تحليلي وصفي، ويستفاد من هذه الدراسة تبيين مراد الله منها استنادا على مصادر التفاسير، بالإضافة إلى التوفيق بين الأقوال في المعاني واعتماد أشهرها، وكذلك استخراج الفوائد والثمرات من خلال تبحرنا في مضمون الآيات، ونحاول من خلال ذلك اسقاط معاني الآيات على الواقع؛ ثم قسمنا البحث إلى ثلاثة مباحث، بدايةً بالمبحث التمهيدي، يشمل جانب التعريف، والحُكم، وعدد هذه الآيات ،مع ذكر الاختلافات فيها، ثم تم تقسيم الآيات إلى موضوعين، حسب سياق الآية، والموضوع الذي يشمله، وكان المبحث الأول بعنوان آيات السجود التي فيها خبر ومدح للساجدين المطيعين لله، وهي سبعة مواضع، أما المبحث الثاني ففيه الآيات التي فيها أمر وذم للمعرضين عن السجود لله وهي ثمانية مواضع.

Abstract:

This research deals with the subject of prostration‘s verses in the Holy Qur’an; in an interpretive study. In which ; the purpose of this memory is to do an analytical and descriptive study on these special verses and illustrates the Lordly purpose of them. We have based on the sources of interpretation. As well as gathering the most famous opinions about meanings of these verses., and the extraction of benefits through our sailing in the content of the

الملخص

verses. and we have tried to drop their meanings on reality. Our memory is divided into three sections. ,we have started with the first section which is an introductary study, Including definition and Fatwa, and the number of these verses with mentioning differences between them. Then these verses were divided into two topics, according to the context of the verse and the covered subject. The second section includes the seven prostration's verses that speak about news and praise for those who are prostrating and obedient to God. The third section includes the eight prostration's verses; in which there is a commandment for those who are not prostrating to God.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، لله الذي خلقنا وكرمنا، وأنعم علينا نعما ظاهرة وباطنة، لاتعدّ ولا تحصى بمقدار، أنزل إلينا قرءانا يتلى آناء الليل وأطراف النهار ،وأنقذنا من ظلمة الجاهلية وفضلنا على الجاحدين والفجار بنور الاسلام والقرآن، وصلّ اللهم وسلم على المختار، حبيبنا مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحابته الأطهار وبعد:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم هدى للناس، ومنهاجا لحياتهم وعباداتهم، فكانت نصوصه بيانا وتوجيها وإرشادا لهم، حتى يدركوا طريق النجاة ويعتصموا بحبل الله ولا يضلّوا، وهذه النصوص بمثابة حلقة الوصل بين العبد وربه، ووسيلة يتقرب بها إلى خالقه أكثر فأكثر، فجاءت الخطابات الربانية تبيُّن للناس غاية وجودهم في الدار الأولى، وأن الفوز والفلاح والجزاء الحقيقي يكون في الأخرى، وذلك باتباع أوامر الله ونواهيه المبثوثة في آيات القرآن، كعبادته بشتى أنواع العبادات مثل الصلاة، والتقرب إليه في كل الأحوال والأوقات بالسجود مثلا، وهذا هو موضوع هذا البحث ولكن أثناء تلاوة القرآن الكريم نجده مواضع مخصوصة، وسيكون البحث معنوناً بـ: آيات سجود التلاوة(دراسة تحليلية موضوعية).

أهمية الموضوع:

- ان الله سبحانه أمر بالعبادة بصفة عامة في القرآن الكريم، مثلا في قوله الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء، 36]،وبعض العبادات جاء الأمر بها بصفة مخصوصة كالصلاة والزكاة، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة ،43]، ولكن السجود جاء بصفة أخصُّ، مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ١٩﴾[العلق ،19]

- إن هذا البحث يعنى بدراسة موضوع قرآني، ألا وهو آيات سجود التلاوة، وذلك يفتح لنا مجالا للاستفادة من أسرار هذه الآيات وفهم مكنوناتها، ومدى انعكاسها على نفس المسلم.
- اهتمام العلماء من المفسرين والمحدثين وأهل الفقه بهذا الموضوع من زوايا عدة.

دوافع اختيار الموضوع:

روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء "[1]، من منطلق هذا الحديث يجد كل مسلم أن أقرب حال له من ربه عندما يكون ساجدا لله ﷻ، ومن خلال الأحاديث التي وردت عن الحبيب ﷺ فيها ذكر لهذه الآيات وأن المسلم ان تلاها أو كان مأموما خر ساجدا متذللا لله، من خلال هذا قادني الفضول للاطلاع على ما حوته هذه الآيات من معانٍ واسرار وفضائل وأهمية وأحكام، وكلما استعرضتني آية من آيات السجود أينما وردت في القرآن أجد في نفسي رغبة ملحة في معرفة سر السجود في هذا الموضع تحديدا لا غير، كما نجد أن المفسرين وكل من اعتنوا بعلوم القرآن خاصة وعلوم الشريعة عامة بالكلام حول هذه النصوص، خصصوا لها زاوية متفردة من مؤلفاتهم، فكل اجتهد في جانب من جوانبها، فبعد الاستعانة بالله نوينا الاطلاع على ما ترمي إليه معانيها ومقاصدها، عسى أن نُبحرَ في مضامينها ونرتوي من فوائدها ونعيش في ظلالها، وأردنا أن نجمع ما تفرق من شتات كلماتهم وطرائفهم والفوائد التي جَنَوْها فيما يتعلق بهذا الموضوع.

[1] - أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه،ح9461،ج15،ص274، أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل (ت 241هـ) ت، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إ:عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ - 2001 م

إشكالية الموضوع:

1. الإشكالية العامة:

ما أقوال المفسرين حول آيات سجود التلاوة، وكيف خاضوا بالكلام حولها ضمن تفسيرهم لآيات القرآن الكريم؟

2. الإشكاليات الفرعية:

ماهي المعاني التي سطّرها العلماء المفسرون حول آيات سجود التلاوة ؟

ما معنى سجود التلاوة؟، وما حكمه؟، وماذا يُقال فيه؟، وكم عدد هذه الآيات؟، وماهي مواضعها ومواضيعها؟، ماذا قال العلماء في تفسيرها وتأويلها، بعد أن تأملوا في سياقاتها وغاصوا في مضامينها؟، وكيف تعكس هذه الآيات أثرها في حياة ونفس المسلم؟.

هدف البحث :

نحاول من خلال هذا البحث أن نعيد النظر فيما قاله العلماء المفسرون في ما يخص هذه الآيات، والتي تتميز بميزة خاصة عن باقي آي القرآن دون غيره ، وهي سجود العبد حينما يستعرضها، و كما نأمل على جمع ما تميز من فوائد وهدايات وأسرار تتعلق بها، كما سنعمل قدر المستطاع في إسقاط هذه الآيات على الواقع، ولربما إيجاد بعض الإرشادات التي تفيد المسلم في حياته التعبديّة في الحياة الدنيا قبل رحلة الآخرة .

المنهج المتبع :

سنحاول في هذا البحث اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي:

المنهج الاستقرائي: خلال عرض واستقراء المعاني والمعلومات المتعلقة بالموضوع في بداية البحث، ثم تتبُّع آيات سجدات القرآن في سور القرآن كله، وجمع المادة العلمية المتعلقة بتفسير الآيات.

أما المنهج التحليلي: خلال النظر في معاني الآيات قصد الجمع في مواضيع حسب السياق المشترك بينها، واظهار مراد الله منها، واستخراج بعض الفوائد والأسرار.

خطة البحث:

سيكون البحث وفق هذه الخطة المرسومة:

بدأناه بمقدمة، ثم المبحث التمهيدي، فيه خمسة مطالب، المطلب الأول: مفهوم السجود لغة واصطلاحا، أما المطلب الثاني فيه حكم سجود التلاوة، والثالث فيه حكم سجود التلاوة لسامع و مستمع التلاوة، والرابع ما يقال فيها، والخامس عدد آياتها.

أما المبحث الأول كان بعنوان: آيات السجود التي فيها خبر ومدح للساجدين و فيه ستة مطالب وهي: المطلب الأول: ذكر السجود بعد الأمر باستماع القرآن والذكر(سجدة الأعراف)،المطلب الثاني: سجود أهل السموات والأرض لله(سجدة الرعد)،والمطلب الثالث: سجود الملائكة والدواب والجمادات(سجدة النحل)،والمطلب الرابع: سجود الذين أوتوا العلم(سجدة الإسراء)، والخامس: سجود الأنبياء، والسادس: سجود العوالم العلوية والسفلية لله(سجدة الحج الأولى).

وكان المبحث الثاني والأخير بعنوان: آيات الأمر والذم للمعرضين عن السجود لله، وفيه ثمانية مطالب، المطلب الأول: الأمر بالسجود المقرون بالركوع(سجدة الحج الثانية)، والمطلب الثاني: ذم من أُمر بالسجود وأعرض(سجدة الفرقان)، أما المطلب الثالث: خبر مقرون بذم من أُمرَ بالسجود فأبى(سجدة النمل)، والرابع: الأمر الصريح بالسجود لله (سجدة النجم)، والخامس: النهي عن السجود للمخلوقات والأمر بالسجود للخالق(سجدة فصلت)،والسادس: نفي الإيمان عمّن ذُكر بآيات الله ولم يسجد(سجدة السجدة)، والسابع: أمر صريح بالسجود عند سماع القرآن (سجدة الانشقاق)، والمطلب الثامن و الأخير: نهي أبو جهل رسولَ الله ﷺ عن السجود لله(سجدة العلق)؛ في الأخير خاتمة البحث.

الدراسات السابقة :

على قصور اطلاعنا وجدنا بعض الكتب التي اعتنت بناحية فقهية واسعة للموضوع، و ركَّزَت عليها، مثل كتاب الشيخ ابن تيمية في سجود التلاوة، سجود التلاوة وأحكامه لصالح اللاحم، والتبيان في سجدات القرآن لعبد العزيز السّدحان، ووجدت بعض العناوين لمذكرات ولكن لم أُحْظَ بالاطلاع عليها، كانت أغلبها تناولت موضوع السجود كله في القرآن الكريم، وأذكر منها مثلا: السجود في القرآن الكريم للطالب عماد عادل أبو مُغلي-جامعة آل البيت-، إلا أني لم أجد دراسة تحليلية موضوعية مستقلة للبحث إلا ما حوته الدراسات والكتب والتفاسير والله تعالى أعلى و أعلم .

و أسأله سبحانه و تعالى أن يكتب لي الاخلاص و الصدق والتوفيق و السداد و أن ينفع به العلم و طلبته .

المبحث التمهيدي: مفهوم وحكم وما يقال في سجود التلاوة، وعدد السجدات في القرآن.

قبل الشروع في الموضوع لا بد من تعريف سجود التلاوة وحكمها، وما يقال فيها، ومعرفة عدد هذه السجدات في القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم سجود التلاوة.

لتعريفه لا بد من التطرق للمفهوم اللغوي بداية، وهو الذي يبنى عليه المعنى الاصطلاحي.

الفرع الأول: سجود التلاوة لغة.

سجود التلاوة مصطلح مركب ويجب تعريف كل لفظ على حِدى.

1- تعريف السجود لغة

أُخذ السجود من الفعل الثلاثي(سجد) وكما قال ابن فارس أن" السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل، يقال سجد، إذا تطامن[1]، وكل ما ذل فقد سجد"[(2)]، وهو أيضا بمعنى الخضوع الذي ذكره الرازي حيث قال:"(سجد) خضع ومنه (سجود) الصلاة وهو

1 – طأطأ رأسه طأطأة كدحرجة: طامنه، وتطأطأ: تطامن وطأطأ الشيء خفضه، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت1205ه)،ت مجموعة من المحققين، دار الهداية،ص322

2 – مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس ابن زكريا (395ه)، ت عبد السلام مُحَمَّد هارون ،دار الفكر ، 1399ه _1979م،ج 3 ، ص133

وضع الجبهة على الأرض."[1]،وأضاف ابن منظور معنى آخر فقال: الساجد: المنتصب في لغة طيء، سجد يسجد سجودا وضع جبهته بالأرض، وقوم سجد وسجود، وقوله عز وجل: ((وخروا له سجدا))".[2]

فكل المعاني تدور حول التّطامن والذل والخضوع ووضع الجبهة على الأرض، وكلها وصف لحال الساجد أثناء سجوده.

2- تعريف التلاوة لغة

أُخذت التلاوة من مادة (ت ل و) وقد عرفها ابن فارس بقوله: التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الإتباع، يقال: تلوته إذا تبعته، ومنه تلاوة القرآن، لأنه يتبع آية بعد آية [3]، أما الرازي فقال أنها مأخوذة من مادة " (ت ل ى) فقال: (تلا) القرآن يتلوه (تلاوة) و(تلوت) الرجل تبعته وبابه سما، وجاءت الخيل (تتاليا) أي متتابعة" [4]،إذا فالتلاوة مأخوذة من تلا أو تَلُوَ بمعنى قراءة القرآن آية بعد آية بتتابع.

الفرع الثاني: تعريف سجود التلاوة اصطلاحا

بعدما عرّفنا السجود والتلاوة وتبيّن لنا أن معنى السجود يدور حول التّطامن والذل والخضوع، أما التلاوة فهي قراءة آيات القرآن بتتابع، قال الدكتور صالح اللاحم في تعريفه لسجود التلاوة

1 – مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي (666هـ) ، ت يوسف الشيخ مُحَمَّد ،المكتبة العصرية (الدار النموذجية بيروت)صيدا، ط 5 ، 1420هـ _1999م ،ص142

2 – لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي(711هـ) ،دار الصادر بيروت ،ط3 ، 1414هـ،ج 3 ، ص 204

3 – مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ابن زكريا (395هـ)، ج 1 ، ص 351

4 – مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله الرازي (666هـ)،ص 46

أنه "السجود بسبب التلاوة "[1]،و في تعريف ثان لسجود التلاوة وجدنا أنه: " الذي سبب وجوبه تلاوة آية من أربعَ عشرةَ آية وهي سجدة بين التكبيرتين بشرائط الصلاة بلا قيام ورفع يد وتشهد وسلام"[2] –سيكون عدد السجدات في هذا البحث خمس عشرة سجدة وهو ما بنينا عليه الخطة فيما سيأتي من مباحث–، وكما فهمنا من التعريفين أن سجود التلاوة هو السجود في مواضع معينة أثناء تلاوة القرآن.

المطلب الثاني: حكم سجود التلاوة.

"عند الجمهور أنه سنة وعند الحنفية واجب"[3]، ولكل منهم أدلة سنذكر أهمها.

الفرع الأول: أدلة الحنفية (القائلون بوجوب سجود التلاوة)

بنى الحنفية حكم الوجوب على أدلة أهمها: الحديث النبوي المروي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله–وفي رواية أبي كريب: يا ويلي – أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار" [4]، ووجه الاستدلال بالحديث أنهم حملوا الأمر هنا على الوجوب، واستدلوا أيضا بالأحاديث الواردة بالسجود، وكما قالوا أن آيات السجود كلها دالة على الوجوب لأنها واردة

1 – سجود التلاوة و أحكامه ،صالح اللاحم ،سلسة البحوث العلمية المحكمة ، دار ابن الجوزي ، ص 17

2 – التعريفات الفقهية ،محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية ،ط1 ،1424هـ-2003م، ص112

3 – التبيان في سجدات القرآن ،عبد العزيز السدحان ، دار المنار ،ط1409،1هـ 1989م ،ص21

4– أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة،ح 133،ج1 ،ص87،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ،مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت261هـ)،ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

إما أمر صريح والأمر للوجوب أو أن في بعض آيات السجود ذكر لطاعة الأنبياء وموافقة الأنبياء والأولياء واجبة وما يقابله في بعض الآيات الأخرى ذكر الكفار و مخالفتهم في ذلك واجبة، وكما يرى الحنفية لو لم يكن سجود التلاوة واجبا لما جاز أداءه في الصلاة لأن الزيادة تفسد الصلاة. [1]

وكان هذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "والذي يتبين لي أنه واجب"[2] ويقصد حكم سجود التلاوة واجب لأنه استدل بأدلة الحنفية.

الفرع الثاني: أدلة الجمهور (القائلون بسنية سجود التلاوة)

بنى الجمهور حكم سنية سجود التلاوة على أدلة عدة نذكر بعضها:

حديث زيد بن ثابت قال: «قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها»[3]فلو كان واجبا لما تجاوزه صلى لله عليه وسلم.

حديث عمر بن الخطاب ﷺ، قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة، قال: «يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد، فقد أصاب ومن لم يسجد، فلا إثم عليه ولم يسجد عمر ﷺ» وزاد نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، «إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء»[4]، ويستدل بهذا من وجوه:

1- ينظر، التبيان في سجدات القرآن ، عبد العزيز السدحان، ص 17 _18

2- سجود التلاوة معانيه و أحكامه، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (728هـ)،ت فواز أحمد زمرلي ،دار ابن حزم ،ط2، 1426هـ 2005م،ص 24

3 -أخرجه البخاري في صحيحه، باب سجدة النجم، ح 1073،ج2 ، ص41، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)،مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري، مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422هـ

4 – أخرجه البخاري في صحيحه، باب من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود، ح 1077، ج2 ، ص 42

- قوله ومن لم يسجد فلا إثم عليه ظاهر في عدم الوجوب.[1]
- قوله ولم يسجد عمر فيه توكيد لبيان جواز ترك السجود بغير ضرورة.[2]

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة»؛ فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»[3].

والأصل في سجود التلاوة عدم الوجوب حتى يثبت نص صريح بالأمر به، ولا معارض له ولا قدرة لمن قال بوجوب السجود على هذا.[4]

أما حديث ((إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر ابن آدم السجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار))[5]، فيجاب عنه أن ما ورد في حديث عمر وحديث زيد يصرف الأمر عن الوجوب، وأن بعض آيات السجود لم تأتي بصيغة الأمر كسجدة الأعراف والنحل و النمل وغيرها، وكذلك ما ورد في بعض الآثار عن بعض الصحابة في تركهم للسجود في بعض المواضع، وقد قيس سجود التلاوة على سجود الشكر.[6] الشكر.[6]

وممن ذهب إلى ذلك من الصحابة عمر ابن الخطاب وسلمان الفارسي وابن عباس وعمران بن حصين.[7]

1- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،ت مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ،دار المعرفة بيروت، 1379هـ،ج2،ص559

2- المرجع نفسه، ج2،ص559

3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الزكاة من الإسلام، ح46 ، ج 1،ص18

4- التبيان في سجدات القرآن ، عبد العزيز السدحان ، ص 19

5 - أخرجه ابن ماجه في سننه، باب سجود القرآن،ح1052،ج1،ص334،ت مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

6- التبيان في سجدات القرآن ، عبد العزيز السدحان ، ص19 -20

7- المرجع نفسه، ص20

المطلب الثالث: حكم السجود لسامع ومستمع التلاوة.

قال ابن قدامة: "ويسن السجود للتالي والمستمع لا نعلم في هذا خلافا"، وهو مذهب الحنابلة[1]،والشافعية[2]والمالكية [3]،وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده، فيسجد ونسجد معه، فنزدحم حتى ما يجد أحدنا لجبهته موضعا يسجد عليه»[4]، "فأما السامع غير القاصد للسماع فلا يستحب له-غير مشروع عليه-،وروي ذلك عن عثمان، وابن عباس، وعمران وبه قال مالك، وقال أصحاب الرأي عليه السجود وقال الشافعي: لا أؤكد عليه السجود، وإن سجد فحسن."[5]

واحتج من قال بأن المستمع يسجد إذا سجد القارئ بما رواه زيد بن أسلم قال: قرأ رجل سورة فيها سجدة عند النبي ﷺ، فلما فرغ قال: يا رسول الله، ما في هذه السورة سجدة؟ قال: «بلى، ولكنك كنت إماما فلو سجدت سجدنا»[6]، وكذلك استدلوا بحديث روي عن سليم

1- ينظر :المغني، أبو مُحَمَّد موفق الدين بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، مكتبة القاهرة،1388هـ - 1968م،ج1،ص446

2- ينظر:المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ)،دار الكتب العلمية،ج1،ص162

3- ينظر: الكافي في فقه أهل المدينة ،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)،مُحَمَّد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة الرياض المملكة العربية السعودية،ط2 1400هـ/1980م،ج1، ص 262

4- أخرجه البخاري في صحيحه، باب من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود ، ح 1076، ج 2 ، ص41

5- المغني ، ابن قدامة المقدسي، ج1، ص447

6 - المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت 211هـ)،ت حبيب الرحمن الأعظمي، الأعظمي، المجلس العلمي الهند ويطلب من المكتب الإسلامي بيروت،ط2،1403هـ،ح 5914،ج3،ص 346

بن حنظلة قال: قرأت عند ابن مسعود السجدة فنظرت إليه، فقال: «ما تنظر أنت قرأتها، فإن سجدت سجدنا»[1].

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى وجوبه على المستمع القاصد للسماع والسامع(2) وقد استدلوا بأدلة عدة منها عن ابن عمر قال: «إنما السجدة على من سمعها»[3]،و بأدلة كثيرة يطول بذكرها المبحث.

المطلب الرابع : ما يقال في سجود التلاوة.

ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب أن يقول الساجد في سجوده ما ورد، ومنه:

1-أن يقول فيها كما يقول في سجود الصلاة، وقد ورد هذا في بدائع الصنائع: "وأما كيفية أدائها فإن كان تلا خارج الصلاة يؤديها على نعت سجدات الصلاة وإن كان تلا في الصلاة فالأفضل أن يؤديها على هيئة السجدات أيضا"[4].

2-أن يقول ما روي عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل، يقول في السجدة مرارا: "سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته"[5].

3-عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة، فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا، وضع عني بها وزرا، واجعلها لي عندك ذخرا، وتقبلها مني كما

---

1 - المصنف ،عبد الرزاق الصنعاني ، ح 5907،ج3 ، ص 344

2- ينظر:بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)،دار الكتب العلمية،ط2، 1406هـ - 1986م،ج1،ص180

3- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ)،ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض،ط1، 1409هـ،ح4225،ج1،ص368

4- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)،ج1،ص188

5- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)،ت شعَيب الأرنؤوط - مَحَمَّد كامِل قره قره بللي، دار الرسالة العالمية،ط1، 1430 هـ _2009 م،ح1414،ج2،ص556

تقبلتها من عبدك داود، قال الحسن: قال لي ابن جريج: قال لي جدك: قال ابن عباس: «فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم سجدة، ثم سجد»، فقال ابن عباس: فسمعته وهو «يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة»[1].

وهناك صيغ أخرى لما يقول الساجد في سجود التلاوة نجدها عند الفقهاء، وقد أوجزنا الكلام عنها هنا.

المطلب الخامس: عدد آيات سجود التلاوة.

عدد السجدات في القرآن بالجملة خمس عشرة سجدة على خلاف بين العلماء، فمنهم من اعتبرها أربع عشرة سجدة وأسقط واحدة، ومنهم من عدها أربع عشرة أيضا، إلا أنه أسقط غير الذي أسقطه الأول، ومنهم من قال غير هذا القول.

آيات السجدات جملة:

الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ۩﴾[٢٠٦﴿الأعراف]

الثانية: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[15﴿الرعد]

الثالثة: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ ﴾[٥٠﴿النحل]

1- سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت 279هـ)،ت أحمد مُحَمَّد شاكر (جـ 1، 2)ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر،ط2، 1395 هـ 1975م،ح579،ج2،ص472

الرابعة:﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩﴾ [﴿١٠٩﴾الإسراء]

الخامسة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩ ﴾[﴿٥٨﴾مريم]

السادسة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ۩﴾ [﴿١٨﴾الحج]

السابعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۩ ﴾[﴿٧٧﴾الحج]

الثامنة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩﴾ [﴿٦٠﴾الفرقان]

التاسعة: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩ ﴾[﴿٢٦﴾-﴿٢٥﴾النمل]

العاشرة:﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩﴾ [﴿١٥﴾السجدة]

الحادية عشر: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩ ﴾[﴿٢٤﴾ص]

الثانية عشر: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ٣٨﴾ [٣٨-٣٧ فصلت]

الثالثة عشر: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ٦٢﴾ [٦٢ النجم]

الرابعة عشر: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ٢١﴾ [الإنشقاق٢١]

الخامسة عشر: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب١٩﴾ [١٩ العلق]

فقد اختلف أهل المذاهب الفقهية في هذه المسألة، فقال الحنفية أنها أربعة عشر سجدة عدا السجدة الثانية في الحج[1]،أما المالكية فقالوا أنها إحدى عشرة سجدة ولم يعدوا الثانية من الحج ولا سجدة النجم ولا الانشقاق ولا العلق[2]،وذهب الشافعية إلى أنها أربعة عشر سجدة حيث لم يعدوا سجدة ص[3]،أما الحنابلة فالمشهور عندهم أربع عشرة سجدة عدا ص كما قال الشافعية، وعن أحمد رحمه الله رواية أخرى أنها خمس عشرة سجدة[4].

1- ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي(ت587هـ)،ج1،ص193

2- ينظر: المنتقى شرح الموطأ،أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت 474هـ)،مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر،ط1، 1332 هـ،ج1،ص351-352

3- ينظر: المهذب في فقة الإمام الشافعي،أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ)،ج1،ص162

4- ينظر: المغني ، ابن قدامة المقدسي،ج1،ص441-442

المبحث الأول: الخبر عن أهل السجود والمدح لهم.

بعد عرض مبحث تمهيدي فيما يخص موضوعنا آيات سجود التلاوة، من تعريف، وبعض أحكام هامة متعلقة بآيات السجدات، وكذا عددها عند كل مذهب، وقد اعتمدنا في بحثنا على أن يكون عدد الآيات جملة خمسة عشر آية، وهو أكثر عدد مذكور عند الفقهاء والمفسرين قديما وحديثا، كان لا بد لنا أن نعكف على دراسة هذه الآيات دراسة تحليلية موضوعية، بحيث نقسّمها إلى مواضيع، وكل موضوع يشمل آيات لها روابط تجمعها، ويكون ذلك _التقسيم_ استنادا إلى السياق والموضوع الذي جاءت فيه الآية الكريمة، ونشرع بعدها في توضيح معاني الآيات بشيء من التفصيل، وقد رجعنا في هذا إلى تقسيم عام لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، والذي قسم الآيات إلى قسمين: " الأول فيه خبر عن أهل السجود ومدح لهم، والثاني أمر بالسجود وذم على تركه.

لما أوجد الله المخلوقات من بينهم سيدنا آدم عليه السلام وذريته من بعده، كانت الغاية الأولى والأخيرة هي عبادة الله، ولم يخلقنا سبحانه عبثا فقد قال في كتابه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[115،المومنون]؛ وقد كرم الله البشرية بتكريمه لأصلهم آدم عليه السلام، آمرا الملائكة بالسجود له فامتثلوا لأمر ربهم ولم يعصوه، ودليل ذلك قوله تعالى في قصة آدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[34،البقرة]، وكان لابد من العباد بعد أن حضُوا بكل هذا التكريم، إضافة إلى النعم التي يتمتعون بها، أن يعبروا عن شكرهم لله بكل أنواع الطاعات، فمن شكر وأطاع وامتثل فقد نال رضوان الله، وجاء خبره ومدحه في القرآن الكريم، وسنتطرق-في مطالب هذا المبحث- إلى عرض معاني الآيات التي فيها خبر ومدح لمن سجد لله وأطاعه.

المطلب الأول: ذكر السجود بعد الأمر باستماع القرآن والذكر (سجدة الأعراف)

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴾ [الأعراف،206]

الفرع الأول: مناسبة الآية بما قبلها

بعدما عظم الله شأن القرآن وأمر بالإنصات له، والتدبر فيه، خاطب الله سبحانه رسوله ﷺ بعد ذلك آمرا له بذكر الله مكيفا بكيفيته اللائقة به، وأمره بالمداومة عليه ذاكرا أفضل الأوقات، ليقتدي به المؤمنون من بعده، وذلك في الآيات التي سبقت آية السجدة هذه فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف،205]، ثم علل الأمر بالمراقبة الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقربين وهم الملائكة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴾[الأعراف،206].[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان للآية

أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن خضوع ملائكته وعبيده الطائعين له، فأُستعملت "إنّ" حرف التوكيد في الصدارة للاهتمام بهذا الخبر، لا لرده أو التردد فيه، فحرف التوكيد هنا يفيد

1 – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ج8، ص210-211 .

التعليل كما يقول ابن عاشور[1]؛ ومعنى قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾يعني هم الملائكة المكلفون بعبادة الله والتسبيح لذات الله العلية، فالعندية هنا عندية مكانة وفضل ورحمة وعناية وملك[2]، ويأكد هذا قوله تعالى في سورة الحديد مثلاً: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[الحديد،4]، "ويقصد بهذه العندية أيضا القرب بالشرف لا بالجهة، فليست بعنديّة مكان كما قال المشبهة"[3]؛ (لا يستكبرون) أي لا يطلبون الكبر، وقال الطبري: "لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع"[4]، وأن وجه العدول عن لفظ الملائكة إلى الموصولية لأن الصلة تؤذن برفع منزلتهم فيؤدي ذلك إلى إيجاد تنافس للتخلق بأخلاقهم؛ وقد أُستعملت "عند" مجازا للحظوة الإلهية ورفعة القدر، وقوله "لا يستكبرون عن عبادته" في هذه العبادة قولان: أحدهما الطاعة والثاني الصلاة والخضوع فيها وكلاهما تضرع لله؛ وفي قوله تعالى: (ويسبحونه) قولان أيضا: أحدهما ينزهونه عن السوء والثاني يقولون: سبحان الله والقولين يفيدان التسبيح وتعظيم الله وتمجيده؛ وله يسجدون أي: يصلون، وليس المقصود هنا التنويه بشأن الملائكة لأنهم أفضل من ذلك، وإنما أريد به التعريض بالمشركين لأنهم على حال مناقضة لحال الملائكة، وهناك معنى آخر وأدق لـ "يسبحونه" أي ينزهونه بالقول والاعتقاد عن صفات النقص، وهذه الصلة هي المقصودة من التعليل للأمر بالذكر[5]؛ واختيار صيغة المضارع في لا يستكبرون يسبحون يسجدون لدلالتها على التجديد والاستمرار، وقُدِّم المعمول من قوله: وله يسجدون للدلالة على الاختصاص أي ولا يسجدون لغيره؛ فقد أخبر الله عن ملائكته في هذه الآية بأخبار ثلاثة: الأول نفي الاستكبار عن عبادته وذلك هو إظهار العبودية ونفي الاستكبار، هو

---

1 – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر تونس،1984م، ج9، ص243

2 – ينظر:التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، ج9، ص243؛ تفسير الشعراوي (الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، مطابع أخبار اليوم،1997م، ج8، ص4554 .

3 – ينظر: مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420 هـ، ج15، ص446 .

4 – جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، ت أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ – 2000 م، ج13، ص357

5– ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)،ج9، ص243-244 .

الموجب للطاعات، كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان، لأن المستكبر يرى لنفسه شفوفا ومزية فيمنعه ذلك من الطاعة، أما الثاني: إثبات التسبيح منهم له تعالى وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة، والثالث: السجود له؛ فذُكرت العبادة هنا على قسمين: قلبية وجسمانية، أشار إلى القلبية بالتنزيه، وإلى الجسمانية بالسجود، وهو الحال الذي يكون العبد به عند ربه كالملائكة قرباً.[1]

الفرع الثالث: الفوائد والهدايات من الآية

ومقتضى السجدة هنا أن الآية جاءت للحض على التخلق بأخلاق الملائكة في الذكر، وأن الملائكة مع نهاية شرفهم وغاية طهارتهم وعصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب، وحوادث الحقد والحسد، لما كانوا مواظبين على العبودية والسجود والخضوع والخشوع، فالإنسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات ومستعدا للذات البشرية والبواعث الإنسانية أولى بالمواظبة على الطاعة.[2]

المطلب الثاني: سجود أهل السموات والأرض لله(سجدة الرعد)

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[15،الرعد]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

إن امتنع الذين يدعون من دون الله من أصنام وأوثان، أو الذين جعلوا له شركاء ولم يفردوه بالطاعة والعبادة ولم يخلصوا له، فقد بيّن الله سبحانه في هذه الآية أنّ له يسجد من في

1 – زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (ت 597هـ)، ت عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1422 هـ، ج2، ص185؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)،ج8، ص211 .

2 – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، ج9، ص244.

السموات من ملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين طوعا، والكافرون يسجدون كرها؛ وكذلك تسجد له ظلالهم بالغدو والآصال.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان للآية

وقد نزلت هذه الآية في المؤمنين، وعُطفت على جملة له دعوة الحق [سورة الرعد، 14] أي له دعوة الحق، وله يسجد من في السماوات والأرض وذلك شعار الإلهية، فأما الدعوة فقد اختص بالحقة منها دون الباطلة، وأما السجود وهو الهوي إلى الأرض بقصد الخضوع، فقد اختص الله به على الإطلاق، وهو سجود تعبد وانقياد له؛ وقد عدل عن ضمير الجلالة إلى اسمه تبعا للأسلوب الذي يفيد الافتتاح للأغراض الأصلية، و(من في السموات و الأرض) تفيد (من) الموصولة العموم العرفي المتمثل في الكثرة، يعني أهل السماء وهم الملائكة المكلفون بعبادة الله والسجود له، والمؤمنون من أهل الأرض والكافر حالة نفاقه، وسجود أهل السموات والأرض من العام المخصوص لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج،18] وقوله تعالى وكثير من الناس دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود، وتبيّن لفظتي(طوعا وكرها)حال الساجدين، فالطائع هو من انساقت نفسه تعظيما ومحبة لله، والمكره هو من سجد عند الحاجة أو الشدة وهو الكافر أو المنافق بصفة خاصة كما يخبر الله عنهم: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[53،النحل]،يقول قتادة: [فأما المؤمن فيسجد طائعا، وأما الكافر فيسجد كارها]؛ وتسجد ظلالهم كما من سجد طوعا وكرها، لأن الضمير في(ظلالهم) يرجع إلى من في السموات والأرض، فظلالهم معطوفة على من، ليصبح المعنى(يسجد من في السموات وتسجد ظلالهم)، وسجود الظلال معناه على قولين أولهما حقيقي لله مع إدراكها له وقد يقول

1 – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ج16،ص403؛وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،1415 هـ – 1995 م،ج2،ص237 .

قائل كيف تدرك الظلال أنها تسجد، يمكننا الرد بأن قدرة الله لا يعجزها شيء على أن تجعل لهذه الظلال إدراكا وتسجد سجودا حقيقيا وهو المختار عن المالكية وقال به، وثانيهما أن سجودها ميلها بقدرة الله أول النهار إلى جهة المغرب وآخره إلى جهة المشرق؛ و(الغدو) أيضا على قولين: أحدهما أنها مصدر، والثاني جمع غداة وهو الوقت الذي يقضي فيه الناس حوائجهم، أما الآصال فهي جمع أصيل، وهو الوقت ما بين العصر والمغرب، أو الوقت الذي تصفرُّ فيه الشمس آخر النهار، ويقول الإمام ابن عاشور أن المقصود من ذكرهما استيعاب أجزاء أزمنة الظل[1].

ومعنى سجود الظلال أن الله خلقها من أعراض الأجسام الأرضية، فهي مرتبطة بنظام انعكاس أشعة الشمس عليها، وانتهاء الأشعة إلى صلابة وجه الأرض، حتى تكون الظلال واقعة على الأرض وقوع الساجد؛ ولو جعل الله الشمس شمسين لانعدمت الظلال، وهذا يشير إلى تمام صنعه سبحانه؛ وسياق الآية في مجمله يعبر عن الخضوع لمشيئة الله بالسجود وهو أقصى رمز للعبودية ودلالة على حاجتنا الماسة لله سبحانه.[2]

المطلب الثالث: سجود الملائكة والدواب والجمادات(سجدة النحل).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [48-49-50،النحل]

1 – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393هـ)، ج13، ص110

2 – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير الطبري (ت310هـ)،ج16،ص237- 239؛ وفي ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، دار الشروق بيروت القاهرة، ط17، 1412هـ، ج4، ص2052؛والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393هـ)، ج13، ص110؛وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، ،ج2، ص237-239 .

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما خوف الله المشركين بأنواع من العذاب في الآيات السابقة في قوله تعالى:﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝٤٧ ﴾ [النحل،45-47]، أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير حال أهل السموات والأرض؛ ثم ذكر جل ثنائه سجود مخلوقاته غير العاقلة له[1]، وهو ما أسماه ابن عاشور بالسجود القسري، فناسب في هذا السياق ذكر نوع آخر من السجود ألا وهو السجود الاختياري وشبهه.[2]

الفرع الثاني: التفسير والبيان للآية

أخبر الله عز وجل عن انقياد وخضوع مخلوقاته له بقدرته في قوله: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾[48،النحل]، وقد قرأ عامة قرّاء الحجاز والمدينة يَرَوۡاْ بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات، وهم الذين سبق ذكرهم في الآيات السابقة، وقرأ الكوفيون تَرَوۡاْ بالتاء على الخطاب لجميع الناس، واختار الطبري الأول[3]، لأن ذلك أنسب في سياق قصصهم والإخبار عنهم، ووُصلت بـ(إلى)لأن الرؤيا هنا ليست مجرد نظر بل رؤيا تأمل واعتبار، أي أولم يتدبّر هؤلاء الذين مكروا السيئات وأشركوا بالله في ما خلق الله من الأشياء القائمة كالشجر والحجر وغيره الذي يكون له ظل يتفيأ على الأرض، بمعنى ترجع من المغرب إلى المشرق وتتمايل ظلالها من موضع لموضع، وذلك سجودها ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة،226]، أي ترجع إلى أمر الله، والمقصود هنا رجوع الظلال عشيّا بعد انصراف

---

1 – ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)، ج20، ص213

2 – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، ج14، ص170.

3 – جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، ج17، ص216-218؛

الشمس، ووقوع هذه الظلال على الأرض يماثل حال الساجد، وكلاهما-الإنسان والمخلوقات الأخرى-ينقادان لله ويعظمانه، وقوله عز وجل عن اليمين والشمائل استعارة من يمين وشمال الإنسان لجانبي الشيء، ووردت اليمين مفردة الشمائل جمع لعادة العرب عند ذكرها لصيغتي جمع تعبر عن أحداهما بالمفرد، ومعناه فيه أقوال: أحدها أول النهار وآخره لقول جريج: (يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل، قال: الغدو والآصال)؛ وقول آخر مشرق الأرض ومغربها حيث أن الظل ينتقل في أول النهار إلى الجانب الغربي، وفي آخر النهار إلى الجانب الشرقي، وكلا المعنيين يشيران إلى عظمة الله في إخضاع مخلوقاته لأمره، وأعظم من ذلك إخضاع ظلالها سجدا لله، وهذا ما يُرى فيه من أثر الصنعة الإلهية، وختمت هذه الآية بوصف الساجدون لله بأنهم داخرون في أعلى مراتب التذلل والتصغّر والخضوع بين يدي ربهم، وجمعت وهم داخرون بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو جملة ذلك من يعقل فغلب؛ وقد تناولت هذه الآية بصفة عامة السجود الإجباري أو القسري كما سماه الإمام ابن عاشور[1]، وفي مجملها تشير إلى ضرورة التدبر في عظمة خلق الصانع وتصرفه فيه، بحيث ينطاع-الكون-بقدرته إن شاء دون تخييره.[2]

أما قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[النحل،49-50]، فبعدما ذكر جل ثنائه سجود الظلال، أردفه بسجود أهل السموات والأرض كصورة تقريبية بين الحالين، ليبين أن الغاية واحدة ألا وهي تعظيم لمن هو جدير به-السجود- تعبيرا من الخلق عن الامتنان والتعظيم، فينقلنا نقلة من الظلال الساجدة للجمادات الساجدة إلى الشيء الذي

1 - التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)،ج14، ص170

2 - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، ج17، ص216-218؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت،ط3، 1407 هـ ،ج2، ص609؛مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، ج20، ص213-215؛ الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ - 1964 م،ج10، ص111؛ والتحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)،ج14، ص170.

يتحرك، فقوله ولله يسجد قدّم فيه الاسم عن فعله لاختصاص وحصر هذا السجود له سبحانه، وهو تعريض بالمشركين كما أسلفنا القول، وفي قوله ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض إجمال يفصله سبحانه بقوله من دابة والملائكة، وأُستعملت ما هنا للدلالة على غير العاقلين، ذلك لأن أغلب الأشياء الموجودة في الكون ليس لها علم أو معرفة، فتسجد ما في السموات من الملائكة، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والسحاب، وما في الأرض من دواب تدبّ عليها، فذكر أفضل المخلوقات وأشرفها وهي الملائكة، وأدنى الأشياء وأخسّها وهي الدواب، وقول ثان للقرطبي في معنى هذا أن الملائكة المذكورون هنا هم ملائكة الأرض، وميّز الملائكة بالذكر لشرف منزلتهم وتمييزهم عن صفة الدبيب لما جعل الله لهم من أجنحة[1]؛ ولا يستكبرون عن عبادته أي: أن الملائكة الذين هم أعلى شيء في خَلْق الله لا يستكبرون؛ لأن علوّهم في الخلق من نورانية، ولن يمتنعوا عن عبادة الله والسجود له، رغم أن الله كرّمهم ورفعهم؛ وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم يقصد الملائكة، فقد يكون خوفهم عن مهابة لله وإجلاله وتعظيمه، دون ذنب ودون تقصير، وذلك حالهم، أما معنى فوقهم فلأن عذاب الله يأتي من السماء أو لأن قدرة الله فوق قدرتهم ودليل هذا أنهم يفعلون ما يأمرون، ومن خلال ظاهر هذه الآية يتبين لنا أن الملائكة مخلوقات مكلفة أيضا، لما وُجّه لهم من أمر ونهي؛ وموضع السجود هذا حكمته متمثلة في إظهار المؤمن أنه من الفريق الممدوح بأنه مشابه للملائكة في السجود لله تعالى.[2]

المطلب الرابع: سجود الذين أوتوا العلم(سجدة الإسراء)

قال الله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[109،الإسراء]

1 – الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، ج10، ص112

2– ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)، ج20، ص217–219؛ الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، ج10، ص113؛ التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)،ج14، ص170–171؛ وتفسير الشعراوي (الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)،ج13، ص7978 .

الفرع الأول: مناسبة الآية بما قبلها

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ملقّنا له ما سيقوله للمشركين، بعدما أوضح لهم دلائل صدق كلامه ورسالته في الآيات السابقة من السورة، وقد كشف شبههم التي يموّهون بها امتناعهم من الايمان بالرسالة، وأظهر غلطهم، ثم بالأمر بإقامة الله شهيدا بينه وبينهم، ثم بتهديدهم بعذاب الآخرة، ثم بتمثيل حالهم مع رسولهم بحال فرعون وقومه مع موسى، وما عجل لهم من عذاب الدنيا بالاستئصال، ثم بكشف شبهتهم في تنجيم القرآن، وأعقب كل هذا بتفويض النظر في ترجيح الإيمان، بصدق القرآن وعدم الإيمان، بقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا للتسوية على التخيير بين الإيمان وعدمه، أي إن شئتم آمنتم أو كفرتم فعنده سواء، وفي هذا الخطاب الإلهي جمع بين تسليته ﷺ،وتهديد المشركين وإنكار كفرهم.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾[الإسراء،107-108]، يستنكر الله على المشركين كفرهم بكلامه الذي أنزله الحق سبحانه، وقد أوضح ما يكفي من الدلائل على صحته وصدقه، وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على الإتيان بمثله لعجزوا، وبذلك تُزاح كل أعذار الكفر، فقال لنبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء تبكيتا لهم، أن إيمانهم وعدمه سواء عنده سبحانه، وليختاروا ما شاءوا، وهو مستغن عن إيمانهم بإيمان الذين أوتوا العلم من قبل نزول القرآن، وهم من آمن من أهل الكتاب كما ورد عند أغلب

1 - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت606هـ)، ج21،ص417؛والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي(ت1393ه)، ج17،ص577

المفسرين على رأسهم مجاهد، وحكى ابن الجوزي إضافة إلى هذا الرأي أن الذين أوتوا الكتاب يمكن أن يكونوا أنبياء الله، أو طلاب الدين كأبي ذر وورقة ابن نوفل وسلمان الفارسي على قوله[1]، فهؤلاء الذين تمكن العلم الذي في كتبهم من قلوبهم وصدّقوا وآمنوا به، إذا تُلي عليهم ما أُنزل على مُحَمَّد ﷺ يسقطون من شدة خشوعهم سجدا، وقد قال الله هنا يخرون للأذقان ولم يقل على لسرعة سجودهم وشدة تأثرهم بالقرآن، وميز الأذقان بالذكر لأنها أقرب شيء في الوجه إلى الأرض، وإشارة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض حال سجودهم، واللام هنا للاختصاص، إذ جعل الذقن والوجه للخرور وأُختص به، كما أن عادة العرب في كلامهم إذا خر الرجل فوقع على وجهه يقولون خر للذقن، وقوله تعالى سجّدا يؤكّد أن ذلك السقوط ليس اضطراري من كل جهة، وإنما لتيقُّنهم بحقيقة القرآن بفضل ما أوتوه من العلم السابق، فسجّدا يعني أنهم سجدوا وقلوبهم خاشعة لله، وعطف على السجود هنا القول فقال: (ويقولون) للدلالة أنهم جمعوا بين الفعل وهو السجود، والقول بتنزيه الله، فقالوا: سبحان ربنا دلالة على تعجبهم وبهجتهم من تحقق وعد الله المذكور في كتابهم، بمجيء الرسول مُحَمَّد ﷺ، فكان وعد الله مفعولا كما وعد عباده في الكتب السماوية السالفة، وتكفي شهادة هؤلاء لصدقهم مع الله، ومع أنفسهم، ومع أنبيائهم وكتبهم، وقد رفع الله مقامهم وزادهم رفعة، وزادهم إيمانا على إيمان بكتبهم عند سماعهم للقرآن؛ وفي الآيتين تعريض للمشركين لاستهزائهم بوعد الله وقدرته.[2]

1 – زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (ت 597هـ)،ج3، ص59

2– ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت310هـ)،ج17، ص577–578؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)،ج2، ص699–700؛ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج بن مُحَمَّد الجوزي (ت 597هـ)،ج3، ص58–59؛ ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)،ج21، ص417–418؛نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885هـ)،ج11، ص533–535؛ والتحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)،ج15، ص232–234.

ثم قال سبحان وتعالى:﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [109،الإسراء] مكررا صفة الخرور مهتما به، لما صحبه من علامات خشوع، ويزيدهم القرآن الذي جاء به ﷺ لما فيه من مواعظ وعبر، خشوعا على خشوعهم الذي كانوا عليه عند سماع كتابهم واستكانة له، لأن الله نعت العلماء فقال: "إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان"؛ وقد يكون تكرار خرورهم للأذقان لاختلاف الحالين هنا: حال خرورهم كونهم ساجدين، وخرورهم حول كونهم باكين[1]، وأضاف الرازي أنه ربما يكون التكرار دلالة على تكرار فعلهم.[2]

وتحتضن الآيات مشهدا موح يلمس الوجدان، مشهد الذين أوتوا العلم من قبله، وهم يسمعون القرآن، فيخشعون، و﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً﴾ بإنهم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لا يسجدون ولكن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّدا﴾ثمّ تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده: ﴿سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا﴾؛ ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه، فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ﴾، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ فوق ما استقبلوه به من خشوع؛ إنه مشهد مصور لحالة شعورية غامرة، يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله.[3]

المطلب الخامس: سجود الأنبياء (سجدة مريم وسجدة ص)

في هذا المطلب سندرس آيتين لسجود الأنبياء، الأولى في سجود الأنبياء بشكل عام، وهي سجدة سورة مريم، والثانية سجود سيدنا داوود عليه السلام وهي سجدة سورة ص.

---

1 - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت310هـ)،ج17،ص 579؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)،ج2-ص700

2 _ ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)،ج21، ص418.

3 - في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)،ج4، ص2254 .

الفرع الأول: سجود الأنبياء عامة (سجدة مريم)

قال سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾[مريم،54]

1- مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما أخبر الله عن أنبيائه وأفرد كل نبيّ منهم بما هو جدير به، منذ بداية السورة إلى هذا الموضع، وبيّن مالهم من مكانة عليّة، مُخبرا في الآيتين السابقتين عن نبيه إدريسعليه السلام الذي كرمه وكان أول من جاء بالعلوم والكتابة والخط على الورق للبشرية، والأكثر من ذلك أن الله كرمه وأحلله الجنة، أو السماء السابعة مسكنا كما ورد عن الرسول ﷺ لما عُرج به إلى السماء، ولما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار، شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم، ويذكر أمتن سببهم هزاً لمن وافقهم في النسب إلى الموافقة في السبب، وأردف ذلك بذكر بعض ما جازاهم به من النعم، فقد هداهم إلى سبل الخير واجتباهم على سائر خلقه [1]، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾[مريم،58]

2- التفسير والبيان

بعدما أثنى الله على كل واحد من تقدم ذكرهم من الأنبياء، جمعهم في هذه الآية كونهم من ذرية آدم، فأشار الله ﷻ لهم بقوله (أولئك) ويقصد بهم الذين ذكرهم في السورة من زكرياء إلى إدريس عليه السلام، وذكر ابن كثير أن المقصود هم جنس الأنبياء وليسوا فقط المذكورين في السورة، وقوله (الذين) خبر للمبتدأ واسم الإشارة(أولئك) وهو يرمز لعلو رتبتهم وشرف نسبهم، وهم من أنعم الله ﷻعليهم واجتباهم، من النبيئين أي كل الأنبياء المنعم عليهم فـ(من)هنا للبيان أن

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر أبي بكر البقاعي (ت885هـ)،ج12، ص219-220؛و تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1،1365 هـ _1946 م، ج16، ص65 .

الإنعام شملهم كلهم، أما (من) الثانية في قوله ﷻ (من ذرية)للتبعيض، فمن ذرية آدم قصد به إدريس عليه السلام، وممن حملنا مع نوح يقصد بهم الذي من ذرية من حُمل مع نوح وهو إبراهيم عليه السلام، أما ذرية إبراهيم عليه السلام عنى بهم إسحاق ويعقوب وإسماعيل عليه السلام، أما ذرية إسرائيل أي يعقوب عليه السلام، وهم أنبياء الله موسى وهارون و كرياء ويحي وعيسى عليه السلام وأمه من قبله، قال ابن جرير: "لذلك فرّق أنسابهم وإن كان يجمعهم آدم عليه السلام، لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس عليه السلام فإنه جد نوح عليه السلام [1]" ، وقد ذكر ابن كثير" أن إدريس عليه السلام في عمود نسب آدم، وقيل من أنبياء بني إسرائيل لحديث الإسراء"[2] لقوله ﷺ: (مرحبا بالنبي الصالح و الأخ الصالح)[3] ولم يقل الولد الصالح، فإدريس عليه السلام كان سابقا لنوح ولم يكن مع من حُمل معه، وبهذا الذكر رتّب الله أحوال الأنبياء على هذا الترتيب، منبّها بأنهم فُضّلوا بأعمالهم وإضافة على ذلك زادهم فضلا أنهم وُلدوا من أنبياء، ولهم شرف القرب منهم؛ ثمّ بيّن أنهم ممن هداهم الله للإسلام، واجتباهم بالإيمان واختارهم للرسالة ، ونظير ذلك قولهﷻ في صفة هؤلاء المذكورين: ﴿ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [87،الأنعام]، وعطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها، ومضمون قوله أنعم الله عليهم وقوله وممن هدينا واجتبينا هو أحسن جزاء على ما قدموه من الأعمال، ومن أعطوه من مزايا النبوءة والصديقية ونحوهما، وتلك وإن كانت نعما وهداية واجتباء فقد زادت هذه الآية بإسناد تلك العطايا إلى الله تعالى تشريفا لها، فكان ذلك التشريف هو الجزاء عليها إذ لا أزيد من المجازى عليه إلا تشريفه؛ ولما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال مستأنفاً (إذا تتلى عليهم ءايات الرحمن)وقرأ عامة القرّاء تتلى بالتاء بالتأنيث، عدا شبل بن عباد المكي قرأها بالياء بالتذكير، وقد وجّه عامة القرّاء بأن هذا التأنيث مجازي وغير حقيقي، وأما آيات الرحمن هي الكتب المنزلة عليهم، قال القرطبي: قال الأصم: أن المراد بآيات الرحمن الكتب السماوية

1 – جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)،ج18،ص214

2 – تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي البصري (ت774هـ)، ت سامي بن مُحَمَّد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،ط2، 1420هـ – 1999 م ،ج5، ص241–242

3 – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)،مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء،ح349،ج1، ص79 .

المتضمنة توحيده وحججه وإنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها، وقوله جل ثنائه آيات الرحمن ولم يقل آيات الله[1]

يقول الشعراوي: لأن آيات الله تحمل منهجاً وتكليفاً، وهذا يشقُّ على الناس، فكأنه يقول لنا: إياكم أنْ تفهموا أن الله يُكلّفكم بالمشقة، وإنما يُكلّفكم بما يُسعِد حركة حياتكم وتتساندون، ثم يسعدكم به في الآخرة؛ لذلك اختار هنا صفة الرحمانية، إلا أن ابن عباس قال أن المراد به القرآن خاصة، وبيّن بعدها مدى تأثير هذه الآيات على قلوب هؤلاء فقال(خروا سجدا وبكيّا)وصفا لشدة خشوعهم لله حد البكاء إذ هموا بالسجود للمنعم عليهم تقرباً إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم وبكيّا خوفاً منه وشوقاً إليه، فعطف الحالين دليل لعراقة المتحلي بهما، وهم هؤلاء الأنبياء، وهذه الآية من مواضع سجود القرآن المروية عن النبيء ﷺ اقتداء بأولئك الأنبياء في السجود عند تلاوة القرآن، فعن رسول الله ﷺ قال: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»[2]

فالخرور للسجود هنا انفعال قسري طبيعي، لا دخل للعقل فيه ولا للتفكير، فالساجد يستطيع أنْ يسجدَ بهدوء ونظام، أما الذي يخرُّ فلا يفكر في ذلك، وهذا الانفعال يُسمُّونه (انفعال نزوعي) ناتج عن الوجدان، والوجدان ناتج عن الإدراك، وهذه مظاهر الشعور الثلاثة: الإدراك، ثم الوجدان، ثم النزوع؛ فبالحواس تستطيع إدراك الأشياء ذلك مما يجعل في النفس أثرا كالحب والبغض أو غير ذلك، وهو ما نسميه بالوجدان الذي تصدر عنه الحركة التي نسميها

---

1 -ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)،ج3،ص25؛و مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)،ج21، ص550-551؛الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)،ج11، ص120؛ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، ت الدكتور أحمد مُحَمَّد الخراط،دار القلم، دمشق،ج7، ص608-609 ؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)،ج12،ص222؛ والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)،ج16، ص132-133

2 – مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (ت 316هـ)، ت أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت،ط1، 1419هـ- 1998م، باب ذكر الخبر المبيح للقارئ أن يتغنى بالقرآن،ح3881، ج2، ص473

نزوعا؛ وهكذا الحال فيمن تسمّع لكلام الله وقرآنه يدرك القرآن بسمعه فينشأ عنه حلاوة و تأثيرا في نفسه، وهذا هو الوجدان الذي ينشأ عنه انفعال نُزوعي وحركة، فلا يجد إلا أنْ يخر ساجداً لله تعالى؛ أما النزوع هنا لم يُكن مجرد نزوع ظاهري في قولهﷻ (سُجَّداً)، بل وأيضاً داخلي ففاضت أعينهم بالدمع (بُكِيّاً).[1]

الفرع الثاني: سجود النبي داوود عليه السلام(سجدة ص)

رغم أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يلحق هذه الآية بهذا القسم، إلا أني أدرجته ضمنه لأسباب، أولها ضرورة تصنيف كل آية إلى موضوع قرآني خلال بحثي هذا، وثانيهما أنّ في هذه الآية إخبار عن سجود نبي الله داوودعليه السلام، فكان إلحاقها بهذا القسم أنسب والله تعالى أعلى و أعلم.

قال ﷻ: ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩﴾[ص،24]

1- مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما وصف الله ﷻ نبيه داوودعليه السلام في الآيات السابقة، وقد آتاه إياها فحققت لداوودعليه السلام كمال سعادة الدارين الدنيا والآخرة، ونجد أنّ الآيات السابقة فيها خطاب للنبي ﷺ أنْ يذكّر أمته بقصة داودعليه السلام ذي القوة في العلم والعمل وطاعة الله، قال قتادة: أعطي داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الإسلام وكان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف النهار، وكان من بين الصفات التي أوتيها من عند الله حسن الفصل في الخصومات وفي هذه السجدة رد منهعليه السلام على الخصمين اللّذين أتياه.[2]

---

1 - ينظر:تفسير الشعراوي(الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)،ج15، ص9129-9130 .

2 - ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت دمشق ط2، 1418 هـ ،ج23، ص184-186.

2- سبب نزول الآية:

بالنسبة لتلك الرواية القائلة باتهام سيدنا داوود عليه السلام أنه تسبب في قتل أوريا لأنه عشق زوجته، وتزوجها من بعده، فبعث الله إليه ملكين في صورة متخاصمين في واقعة مشابهة لواقعته، وأنهما عرضا تلك الواقعة عليه، فحكم داوود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة، فهذه الرواية أبطلها أهل العلم المنصفين كلهم، لما في ذلك من قدح في نبوته عليه السلام ولما فيها من معارضة للنص القرآني؛ والهدف من ذكر هذه القصة عند المحدثين براءة الذمة وكلهم يجزمون بطلانها.[1]

يذكر المفسرون أن القصة الحقيقية لهذه الآية أنّ جماعة من الأعداء أرادوا قتل داود عليه السلام وكان مشتغلا بالعبادة فتسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما فخافوا فوضعوا كذبة أنهما خصمان، وهذه القصة ذكرها الرازي؛ وهناك قول ثان له أن غلِب عليه الظن أنهم دخلوا لقتله، فلم تقم أمارة ولا دلالة فندم على ذلك الظن وكانت الفتنة في الابتلاء بهذه الواقعة، وقد تعددت الأقوال في شأن القصة هذه؛ فرأى أخرون أن قصة هذه الآية متمثلة في قضاء سيدنا عليه السلام لأحد الخصمين قبل سماع الآخر.[2]

3- التفسير والبيان:

فمن خلال التفاسير يتبيّن لنا أن الله عز وجل آتى نبيه داود عليه السلام الفصل في الخطاب بين الناس ومن الآثار التي أكدت هذا قول السدي: كان داود قد قسم دهره يوم يقضي فيه بين الناس ،ويوم لعبادته، ويوم لشأن نفسه؛ وقد ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له[3] .

قوله عز وجل (لقد ظلمك) فالقسم المحذوف هنا قصد به المبالغة في الإنكار،معناه أن سيدنا داود قال للخصم الذي حكم لصالحه، مستنكرا على الثاني: قد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه من غير تثبت ببينة لأنه رأى في المتكلم علامات الضعف والهزيمة، ويرى الطبري أن

---

1 - ينظر: مفاتيح الغيب،ج26، ص377 .

2 - مفاتيح الغيب،ج26، ص377

3 - تيسير الكريم الرحمن(تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،ط1420،1هـ -2000 م ،ج1، ص711 .

النعجة يكنى بها عن المرأة وهذا مما تفعله العرب، بمعنى لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه، وقوله (وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض) يقول: وإن كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض (إلا الذين آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) أي وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ولم يتجاوزوه (وقليل ما هم) وفي "ما" التي في قوله (وقليل ما هم) وجهان: أحدهما أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام: والآخر أن تكون اسما، و "هم" صلة لها، بمعنى: وقليل ما تجدهم، وروي عن ابن عباس في ذلك في قوله (وقليل ما هم) يقول: وقليل الذين هم" [1]، يعني وقليل الذين لا يعتدي بعضهم على بعض، وقوله (وظن داود أنما فتناه)أي وعلم داود أنما ابتليناه واختبرناه وامتحناه فعن ابن عباس (وظن داود أنما فتناه) قال: ظن أنما ابتلي بذاك، وقال ابن عباس ايضا: اختبرناه، قوله ﷻ(وظن)بمعنى وعلم، والعرب توجه الظن إذا أدخلته على الإخبار كثيرا إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان؛ فلما تكلم داود بما حملته العجلة عليه علم أن الله عز وجل خلاه ونفسه في ذلك الوقت، وهو الفتنة التي ذكرناها، وأن ذلك لم يكن إلا عن تقصير منه، فاستغفر ربه وخر راكعا لله تعالى شكرا على أن عصمه، بأن اقتصر على تظليم المشكو، وقد عبر عن السجود بالركوع إما أنه ذكر أول أحوال الخرور، أي راكعا ليسجد قال الحسن: لأنه لا يكون ساجدا حتى يركع، وقالوا لم يكن لبني إسرائيل سجود على الأرض وكان لهم ركوع، وقال ابن العربي: لا خلاف أن الركوع هاهنا السجود وهو المعروف عند بني اسرائيل، ويجوز أن يكون السجود عبادة الأنبياء كشأن كثير من شرائع الإسلام كانت خاصة بالأنبياء من قبل.[2]

---

1 - جامع البيان في تأويل القرآن،ج21، ص179-181

2 - ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، ت صدقي مُحَمَّد جميل،دار الفكر – بيروت،1420 هـ ،ج9، ص150؛ الجامع لأحكام القرآن،ج15،ص177-178، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، ت مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت
ط1، 1418 هـ،ج5، ص27، مفاتيح الغيب،ج26، ص385؛ التحرير والتنوير،ج23، ص239 .

المطلب السادس: سجود العوالم العلوية و السفلية لله (سجدة الحج الأولى)

قال الله ﷻ:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج،18]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

ما تقدّم في السورة يدلّ على قدرة الله على كل شيء، وأنه يتحكم في هذا الكون بإرادته وحده، ويدري سر الأمور وعلنها، ووضح الله أيضا أنه هو من يحكم بين الأمم السالفة _التي اختلفت_ يوم القيامة كونه شهيد على أقوالهم وأفعالهم، وهذا أيضا يندرج تحت علمه وقدرته ﷻ، فاقتضى كل ذلك قيوميته واستعظامه لكثرة الخلائق وتسييره لأحوالهم، فكأنه أجاب سائلا في هذا الموضع، مستدلا على عظمة قدرته بخضوع العوالم السفلية والعلوية التي يُفترض أن يعتبر كل مُعرض بها، لأن من يهنه الله ويكتب له الشقاء فلا أحد يسعده غيره.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يقول ابن عاشور أن "المخاطب في هذه الآية هو الرسول ﷺإذا اعتبرنا ان الاستفهام تقريري لأن علم النبيﷺ متقرر من سورتي الرعد والنحل ، أي ألم تر يا مُحَمَّد أن الله يسجد له من في السموات من ملائكة وما في الأرض من الجن والخلق وغيرهم، ويجوز أن يكون الخطاب للناس عامة باعتبار الاستفهام إنكاري[2]، والرؤية هنا بمعنى العلم أي ألم تعلم وهي تنبيه من رؤية القلب، وسجود الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر: هو ظلاله حين تطلع عليه الشمس وحين تزول إذ تحوّل ظل كل شيء سجوده، ويقول مجاهد قول: (ألم تر أن الله) ظلال هذا كله، ويرى الرازي أن السجود إن كان في حق العقلاء فهو طاعة، وأما في حق الجمادات فانقياد"[3]، وقد أفرد ﷻ الشمس وما بعدها بالذكر لأنها عُبدت من دونه؛ وقولهﷻ(وكثير من

---

1 – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت885هـ)،ج13، ص25؛و تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)،ج7، ص100 .

2 – ينظر: التحرير والتنوير، ج 17،ص226

3 – مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت606هـ)،ج23، ص213

الناس)يعني كثير من بني آدم وهم المؤمنون بالله بدليل قول مجاهد أنهم المؤمنون، إذا رجعنا لبداية الآية لوجدنا أن في قوله ﷻ: (ولله يسجد ما في السموات والأرض) لفظ يفيد العموم فلم قال وكثير من الناس مرة أخرى؟، نجد أن تبرير هذا يكون على لو أنه اقتصر على ما تقدم، لأوهم أن كل الناس يسجدون حالهم حال الملائكة، فبيّن بهذا أن كثير منهم يسجدون، وكثير حق عليه العذاب، وجملة(وكثير حق عليه العذاب)معترضة بالواو، وهي كناية عن ترك السجود لله، أي حق عليهم العذاب لأنهم لم سجدوا لله وقد قضى عليهم العذاب لأنهم أشركوا وأعرضوا على إفرادهﷻ بالعبادة، فوجب وكتب لهم هذا ولم يوفقهم للإيمان لأن الله ﷻ أهانهم، فقد قال ابن عباس في رواية عن عطاء : وكثير من الناس يوحّده وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحده؛ ومن أعرض أهانه الله ولن يجد مكرما، وهم الذين حق عليهم العذاب فلا راد لما أراد ولا معارض لمشيئته، وجملة(ومن يهن الله فماله من مكرم) جملة اعتراضية ثانية في الآية، فقد أهانه الله بالعذاب ولن يجد شفاعة ولا نصرا؛ وختم الله الآية ببيانٍ بقوله: (إن الله يفعل ما يشاء)،ف(إن) حرف توكيد والجملة هذه في محل العلة للجملتين المعترضتين للتعليل والسببية، فالله يصح منه الإكرام ويصح منه الهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب.[1]

يذكر الإمام الشعراوي في تفسيره أن لكل جنس من أجناس الكون سجود يناسبه، والمهم هو كون هذا السجود تقرب وشكر لله جل ثنائه بغض النظر عمن تكلم في كون السجود حقيقيا أم مجرد طاعةً وانقياداً، وكما أشار إلى أن المخلوقات الكونية أصناف أربعة فأدناها الجمادات، ثم تليها النباتات، فالحيوانات، فالإنسان المميّز بالفكر والعقل، وكل مخلوق مُسخّر لم هو أعلى منه، وجميع المخلوقات مسخرة لخدمة الإنسان، وهذا الأخير مهمته شكر من هو أعلى منه؛ ومعلوم أن من في السموات هم الملائكة، ونحن الناس من أهل الأرض، ولكنه كرر ذكر الناس

1 – ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت310هـ)،ج18،ص586؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو مُحَمَّد بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، ت عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1422 هـ،ج4، ص113؛ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت606هـ)،ج23، ص214؛ الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن شمس الدين القرطبي(ت671هـ)،ج12، ص24؛ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي(ت1371هـ)،ج7،ص100؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، ص536؛ والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)،ج17، ص225 .

في قوله: (وكثير من الناس و كثير حق عليه العذاب)، ليبين أن للإنسان قهرية وتسخيرا أو سجودا كباقي الكون، وله أيضا نقطة اختيار وهي التي ينشأ عنها الانقسام فكثير آمن و كثير حق عليه العذاب.[1]

1 - ينظر: تفسير الشعراوي(الخواطر)،ج16، ص9750-9753 .

المبحث الثاني: آيات الأمر والذم للمعرضين عن السجود لله.

تم في المبحث الأول دراسة آيات سجود التلاوة التي أخبر فيها الله سبحانه وتعالى عن أهل السجود وانقيادهم له، وقد مدحهم وأثنى عليهم في تلك المواضع التي كنا قد درسناها سابقا، فأورد صفاتهم وأنهم هم عبيده الذين لا يستكبرون عن عبادته، وله يخرون سجدا طائعون مستسلمون لعظمته، والأعظم من ذلك خضوع ظلالهم أيضا له جل ثنائه، وقد تعدى هذا الانقياد للشمس، والقمر، وسائر مخلوقاته التي في السماوات والأرض ﷻ، وكيف لا يسجد هؤلاء وقد كرمهم، وأنعم عليهم نعما ظاهرة وباطنة، لا تحصى ولا تعد بمقدار، فبمجرد التأمل في آيات الله وعجائب قدرته وإعجاز القرآن الكريم، يقع ذلك التأثير الشديد في نفس وقلب العبد المؤمن؛ ولكننا نجد في مقابل هذا، أُناس تجبروا، وتكبروا وعاندوا، وجحدوا الأنعم، وأصروا على أن لا يطيعوا الله، وأبوا السجود له ﷻ، فلا يوجد سبب يفسر هذا العصيان إلا الكبر والمرض في تلك القلوب، فقد قال سبحانه: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [10،البقرة]، وكما درسنا آيات المدح دراسة تحليلية موضوعية، على النسق ذاته سنتطرق في هذا المبحث لدراسة آيات الأمر والذم على الإعراض عن السجود لله ﷻ.

المطلب الأول: الأمر بالسجود المقرون بالركوع(سجدة الحج الثانية)

قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩﴾[٧٧،الحج]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لقد كان خطاب اللهﷻ للمشركين فاتحا لهذه السورة وفي معظمها، عدا ما وقع اعتراضا في خلال ذلك، فخوطب المشركون بـ يا أيها الناس أربع مرات، وقد استوفى سياق الآيات توجيه الحجج والقوارع للمشركين على مساوي أعمالهم، ناسب ذلك ختم السورة بالإقبال على خطاب المؤمنين بما يصلح أعمالهم، وينوه بشأنهم؛ كما نجده سبحانه قد أثبت من خلال السورة أن الملك والأمر له وحده، وأنه قد أحكم شرعه، وحفظ رسله، وأنه يمكن لمن يشاء أيّ دين شاء، فناسب ذلك أن خَتم السورة بما يصلح للترغيب والترهيب، فقد جرت العادة بأن

الملك إذا برزت أوامره وانبثت دعاته، يقبل إليه المقبلون، فيخاطبهم إلى دينه، وهم الخلص من الناس، فقال: (يا أيها الذين آمنوا).[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

في سياق السورة تكلم الله تعالى في الإلهيات، ثم في النبوات، أتبعه بالكلام في الشرائع والأحكام من نواح عدة من بينها المكلفون هنا وهم أهل الإيمان، وكذلك ما أُمروا به وهي الصلاة، وعبادة الله، وفعل الخير، وأمر رابع في الآية التي بعدها وهو الجهاد، وأشار سبحانه إلى ما يوجب قبول هذه الأوامر المذكورة، بأشياء ألحقها في الآية التي تليها، والمتمثلة في الاجتباء، وكون التكاليف والشرائع هي شريعة إبراهيم عليه السلام، وتسمية المسلمين في القرآن وسائر الكتب المتقدمة عليهم؛ وقد أكّد سبحانه تلك التكاليف بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والاعتصام بالله تعالى، أي الاستعانة به.[2]

يخاطب الله ﷻ عباده المؤمنين مناديا لهم (يا أيها الذين آمنوا)، وتخصيصهم بهذا الخطاب لا يعني نفي ذلك عما عداهم، بل دلت هذه الآية على كونهم مأمورين بهذه الأشياء، ودلت سائر الآيات على كون الكل مأمورين بها، ويمكن أن يقال فائدة التخصيص أنه لما جاء الخطاب العام مرة بعد أخرى، ثم إنه ما قبله إلا المؤمنون خصهم الله تعالى بهذا الخطاب ليكون ذلك كالتحريض لهم على المواظبة على قبوله، وكالتشريف لهم في ذلك الإقرار والتخصيص، ثم بدأ في الأوامر قائلا: (اركعوا واسجدوا) وقد خصهما بالذكر تشريفا للصلاة، وفي اركعوا واسجدوا مجاز مرسل، من إطلاق الجزء على الكل، أي صلوا باعتبار الركوع والسجود من أهم أركان الصلاة ،يقول الزمخشري: "كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود[3]" ، وأيضا خُصِّصا بالذكر لأنهما أعظم أركان الصلاة إذ بهما إظهار الخضوع والعبودية، (واعبدوا ربكم) ،معناه إما أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره أو واعبدوا

1 – نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،ج13،ص99؛التحرير والتنوير،ج17،ص345

2 – ينظر: مفاتيح الغيب ،ج23،ص 254؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،17،ص284

3 – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)،ج3،ص172

ربكم في سائر المأمورات والمنهيات ،أي افعلوا الركوع والسجود وسائر الطاعات على وجه العبادة لأنه لا يكفي أن يفعل فإنه ما لم يقصد به عبادة الله تعالى لا ينفع في باب الثواب فلذلك عطف الأمر بالعبادة على الركوع والسجود، والعبادة هي ما أمر الله الناس أن يتعبدوا به مثل الصيام والحج وغير ذلك؛ وفي ترتيب هذه الأوامر إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال، وتخصيص الصلاة بالذكر قبل الأمر ببقية العبادات المشمولة لقوله واعبدوا ربكم تنبيه على أن الصلاة قوام الدين وأساسه، فقد قال ﷺ: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"[1]؛ واركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير فيه ذكر العام بعد الخاص للعناية بشأن الخاص، ثم ذكر الأعم؛ وقوله (وافعلوا الخير) أمر بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة، وحسن المعاملة كصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق، وهذا مجمل بينته وبينت مراتبه أدلة أخرى ،وفي لعلكم تفلحون ترجّ مستعمل في معنى تقريب الفلاح لهم، إذا بلغوا بأعمالهم الحد الموجب للفلاح فيما حدد الله تعالى، فهذه حقيقة الرجاء؛ وأما ما يستلزمه الرجاء من تردد الراجي في حصول المرجو، فذلك لا يخطر بالبال، لقيام الأدلة التي تحيل الشك على الله تعالى.[2]

فمن خلال معاني هذه الآية، وما خُتمت به سورة الحج، التي جمعت أنواع التكاليف الدينية والاعتقادية والاجتماعية، وأحاطت بفروع الشريعة، وعنيت بأمر الصلاة لأنها عماد الدين، ولم تكتف بطلبها في عموم العبادات، فقد دلت على أمور عدة نذكر منها وجوب الصلاة والمشتملة على أهم أركانها الركوع والسجود، وعبادة الله دون غيره، وفعل العبادات كلها على وجه العبادة، وفعل الخيرات كصلة الرحم ومكارم الأخلاق، أما الأمر الثاني يتمثل في وجوب عبادة الله تعالى، أي امتثال أوامره، والأمر الثالث الندب إلى فعل الخير فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها شرعا.[3]

---

1 – مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)،ت شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إ–د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ – 2001 م، ح 22937،ج38،ص20

2 – ينظر: مفاتيح الغيب ،ج23،ص254؛المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4،ص134؛الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ج3،ص172؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،ج17،ص282،التحرير والتنوير،ج17،ص346

3 – ينظر التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج،ج17، ص290–291

يقول الإمام الشعراوي في تفسيره أنّ النداء في ضرب المثل السابق كان للناس كافة؛ لأنه يريد أن يلفت عباد الأصنام إلى هذا المثل، ويسمعهم إياه، أما هنا فالكلام عن منهج ودستور موجه خاصة إلى الذين آمنوا، لأنه لا يكلف بالحكم إلا من آمن به، أما من كفر فليس أهلا لحمل هذه الأمانة؛ لذلك تركه ولم ينظم له حركة حياته؛ فقد ميّز هنا الصلاة لأنها التكليف الذي يتكرر كل يوم خمس مرات، أما بقية التكاليف فهي موسمية: فالصوم شهر في العام كله، والحج مرة في العمر كله لمن استطاع، والزكاة عند حلول الحول؛ إذا تختلف فريضة الصلاة عن باقي الفرائض فخصها الحق تبارك وتعالى بظرف تشريعي خاص، حيث فرضت الصلاة بالمباشرة، وفرضت باقي الفرائض بالوحي، فلو أردنا تقريب الصورة للواقع فنجد أنه كل ما زادت أهمية الأمر جاء من جهة أعلى ليكون الحرص عليها أكثر، كذلك الصلاة فقد جاءت مباشرة من الموحي ﷻ، ولم تأتي بالوحي كباقي الفرائض كونها صلة بين المعبود والعبد ولا تسقط على المكلف بأي حال من الأحوال، خلاف الصوم والزكاة والحج وغير ذلك من الفراض، وهي عبادة متداخلة حيث إن كان مصلي يصلي الفجر، فآخر يصلي الظهر، وثالث يصلي العصر وهكذا، أما عند ذكر السجود والركوع اللذان يمثلان ركنان أساسيان في الصلاة، فليست العبرة بمجرد الحركات، بل العبرة بالتوجه إلى الله وإخلاص النية له، وإلا لكان المنافقون من الممتثلين لأمر الله كونهم أسبق الناس إلى الصفوف الأولى؛ ثم أجمل الله كل أوامر التكليف في فعل الخير المتمثل فيما تؤديه وظائف المناهج من خير المجتمع، لأن المنهج ما جاء إلا لينظم حركة الحياة تنظيما يتعاون ويتساند لا يتعاند، فَبِه يُقيّد حركة غيرك حتى لا يمسوك بسوء ويقيد حركتك حتى لا تلحق غيرك بسوء.[1]

المطلب الثاني: ذمُّ من أُمر بالسجود وأعرض(سجدة الفرقان)

قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا۩﴾ [٦٠الفرقان]

1 - ينظر: تفسير الشعراوي،ج16،ص9944-9947

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما جرى وصف الله تعالى بالرحمن مع صفات أخر، وبعدما ذكر ﷻ إحسانه وإنعامه على فئة من الناس ذكر ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم فقال: (وإذا قيل لهم)،فاستطرد بذلك ذكر كفر المشركين بهذا الوصف، وأبان أن وجوب السجود والعبادة لا يكون إلا للرحمن.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يخبر الله ﷻ عن أولئك الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم، وهم كفار مكة الذين قابلوا الشكر والتوكل بالكفر والاعتماد على النفس ،إذا قيل لهم : (اسجدوا للرحمن) أي اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان، قالوا: (وما الرحمن) وقولهم وما الرحمن استفهام عن مجهول عندهم، أي وإذا طُلب منهم السجود لله الرحمن الرحيم، وعبادته وحده دون سواه، يجيبون بـ: لا نعرف الرحمن، ويقول الرازي في تفسيره: "يحتمل أنهم جهلوا الله تعالى، ويحتمل أنهم وإن عرفوه لكنهم جحدوه، ويحتمل أنهم وإن اعترفوا به لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى"[2]، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى القول الأخير، فنجد ابن عطية في تفسيره يقول: "أن قريشا كانت لا تعرف هذا في أسماء الله، وكان مسيلمة كذاب اليمامة قد تسمى ب «الرحمن» فغالطت قريش بذلك وقالت إن مُحَمَّدا يأمر بعبادة رحمن اليمامة فنزلت الآية" [3]، الشعر غير هذا إن هذا إلا كلام الرحمن فقال أبو جهل بخ بخ لعمري والله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال عليه السلام: «الرحمن الذي هو إله السماء ومن عنده يأتيني الوحي» فقال يا آل غالب من يعذرني من مُحَمَّد يزعم أن الله واحد، وهو يقول الله يعلمني والرحمن، ألستم تعلمون أنهما إلهان ثم قال ربكم الله الذي خلق هذه الأشياء، أما الرحمن فهو مسيلمة؛ وهذا شبيه بقول موسى لفرعون: ﴿إني رسول من رب العالمين﴾ [الأعراف، 104] فقال فرعون: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء ، 23] ؛وقد قرأ جمهور القراء (تأمرنا) بالتاء أي

---

1 – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،ج13،ص416،التحرير والتنوير،ج19،ص61،التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج19،ص92

2 – أبو عبد الله مُحَمَّد الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ج24،ص479

3 – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو مُحَمَّد بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)،ج4،ص216

أنت يا مُحَمَّد، وقرأ حمزة والكسائي والأسود بن يزيد وابن مسعود (يأمرنا) بالياء من تحت إما على إرادة مُحَمَّد ﷺ والكناية عنه بالغيبة، وإما على إرادة رحمن اليمامة، وقوله: وَزادَهُمْ نُفُوراً أي أضلهم هذا اللفظ ضلالا لا يختص به حاشى ما تقدم منهم[1]، قال الطبري أنهما: "قراءتان مستفيضتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب؛ وقوله: (وزادهم نفورا) يقول: وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله، وإفراد الله بالعبادة بعدا مما دعوا إليه من ذلك فرارا"[2]،يقول البغوي: زادهم نفورا عن الدين والإيمان.[3]

فمن خلال هذه الآية نجدها قد دلّت على أنّ الله سبحانه قد أنكر على كفار مكة والمشركين عنادهم واستكبارهم، إذ لما طُلب منهم السجود للرحمن، أعرضوا على جهة الإنكار والتعجب، وزادهم هذا الإعراض نفورا عن الدين؛ فقد كان سفيان الثوري يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعا ما زاد عداك نفورا.[4]

يقول الإمام الشعراوي أنّه لما أُمر أهل الكفر بالسجود، ذُكرت الصفة الملزمة للخضوع لله ﷻ ألا وهي الرحمن التي تعدي رحمانيته إليك، ولم يقل اسجدوا لله، فكان من الواجب أن يطيعوه وأن يخضعوا له؛ أما قوله: (أنسجد لما تأمرنا) دليل على أن الامتناع عن السجود ليس للذات المسجود لها، بل لمن أمر بالسجود، كما سبق وأن قالوا: {لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} [الزخرف: 31] فكأنهم إن أمرهم الله بالسجود لسجدوا، لكن كيف يأتي الأمر من الرسول خاصة؟ وما ميزته عليهم حتى يأمرهم؛ لذلك قال بعدها: (وزادهم نفورا)أي زادهم انفكاكا عن الأمر بكره.[5]

---

1 - ينظر: مفاتيح الغيب، ج24،ص479؛الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3،ص289؛التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج، ج19،ص95،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4،ص216

2 - جامع البيان في تأويل القرآن، ج19،ص288

3 - ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج3،ص453

4 - ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج19،ص99

5 - تفسير الشعراوي، ج17،ص10491

المطلب الثالث: خبر مقرون بذم من أُمر بالسجود فأبى(سجدة النمل)

قال الله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ۩﴾[﴿٢٦﴾-﴿٢٥﴾ ۞النمل]

نعلم أن الله سبحانه قد ذكر قصة سيدنا سليمان والهدهد وملكة سبأ بلقيس في سورة النمل، فيما تتناول هاتين الآيتين حرمان قوم بلقيس من السجود لله، حيث أنهم كانوا يسجدون للشمس من دون الله، وكيف أن الشيطان زين لهم أعمالهم، فصدهم عن سبيل الرشاد وأعماهم عن طريق الحق، فتسبب ذلك في ظلالهم وإغوائهم، وعلّل سبحانه ذلك الظلال بانتفاء أعظم مقرب من الله ألا وهو السجود تعظيما له وتنويها به فقال: (ألاّ يسجدوا لله)، أي حصل لهم هذا العمى العظيم الذي استولى به عليهم الشيطان، لانتفاء سجودهم، وأيضا يجوز أن يتعلق بالتزيين، يقول البقاعي: أي زين لهم لئلا يسجدوا (لله) أي يعبدوا الذي له الكمال كله بالسجود الذي هو محل الأنس، ومحط القرب، ودارة المناجاة، وآية المعافاة، فإنهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ففات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال.[1]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما ذكر سبحانه في سابق الآيات أنه سخر لسليمان الجن والإنس والطير وجعلهم جنودا له، ذكر هنا أنه احتاج إلى أحد جنوده وهو الهدهد، فبحث عنه فلم يجده فتوعده بالعذاب أو القتل، إلا إذا جاء بعذر يبرئه، فحضر بعد قليل، وقص عليه خبر مملكة باليمن، من أغنى الممالك وأقواها، تحكمها امرأة هي بلقيس ملكة سبأ، ووصف له مالها من الملك، وبالرغم من هذا وجدها هي وقومها يعبدون الشمس، لا خالق الشمس العليم بكل شيء في السموات والأرض، والعليم بما في الخفاء و العلن، والعليم بالسر والنجوى، وهو رب العرش العظيم.[2]

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج14،ص151-153

2 - تفسير المراغي ،ج19،ص130-131

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يقول الرازي في قول الله سبحانه "ألا يسجدو: " جاءت هنا بمعنى الأمر، لأنه لو كان بمعنى المنع من السجدة لم يكن الله مُستحقا بهذا السجود، كونه موصوف بما يوجب له هذا السجود لأنه قادرا على إخراج الخبء عالما بالأسرار؛ ونجد فيها قراءات أربع ألا وهي (ألا)بالتخفيف للتنبيه و يا حرف النداء ومناداه محذوف، وأخرى بالتشديد وهي قراءة الأكثرون بمعنى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا ، وثالثة (هلا) قراءة الأعمش هلا بقلب الهمزة هاء، وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب ورابعها: قراءة أبيّ ألا يسجدون لله الذي يخرج الخبء (في السماوات).[1]

لقد دلت الآية على وصف الله تعالى بالقدرة والعلم، فالقدرة في قوله: يخرج الخبء في السماوات والأرض وسمى المخبوء بالمصدر، و حرف الجر "في" هنا بمعنى "من" أي يخرج الخبء من السماوات والأرض، ويتناول هذا الخبء جميع أنواع الأرزاق والأموال وإخراجه من السماء يكون بالغيث، ومن الأرض بالنبات، يقول ابن عطية: الخبء الخفي من الأمور وهو من خبأت الشيء، وخبء السماء مطرها، وخبء الأرض كنوزها ونباتها، واللفظة بعد هذا تعم كل خفي من الأمور[2] وبه فسر ابن عباس؛ وأما العلم فقوله: ويعلم ما تخفون وما تعلنون، و قُرئت يخفون ويعلنون بالياء والتاء ،وبين هاذين الكلمتين طباق، وقيل أن الكلام من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة ، والقول الثاني الأقرب، وقد اختاره ابن عطية بقوله: وهو الثابت مع التأمل[3]، فنجد الرازي يقول أن المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس فالإله يجب أن يكون قادرا على إخراج الخبء وعالما بالمخفيات ويدفع الضر ويجلب المنفعة والشمس ليست كذلك[4]، ونظير ذلك قول سيدنا إبراهيم عليه السلام في الآية:

---

1 - ينظر: مفاتيح الغيب،ج24،ص552؛ زاد المسير في علم التفسير،ج3،ص359

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4،ص257؛زاد المسير في علم التفسير،ج3،ص359

3 - المرجع نفسه،ج3،ص359

4 - ينظر: الكشاف عن حقاق غوامض التنزيل،ج3،ص362

﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [مريم،42]، وكثيرة هي الأمثلة في القرآن والتي تُأكد بطلان السجود لغير الله وظلال من قام به؛ أما قوله عز وجل: "الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم" فالمراد منه أنه سبحانه لما بيّن افتقار السموات والأرض وما بينهما إلى المدبر ذكر بعد ذلك أن ما هو أعظم الأجسام فهي مخلوقة ومربوبة وذلك يدل على أنه سبحانه هو المنتهى في القدرة والربوبية إلى ما لا يزيد عليه، وقد خصص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات.[1]

يذكر سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات أنها عبارة عن مشهد لعرض عسكري بين سليمان وجنوده، فبعدما أتى على واد النمل وبعد مقالة النملة توجّه سيدنا سليمان بالشكر لله، وتفقّد الطير بعدها فلم يجد الهدهد ، ونفهم من هذه الآية أنه هدهد خاص مُعين في هذا العرض وليس هدهدا من تلك التي تحتويهم الأرض من الهداهد، كما ندرك من افتقاد سيدنا سليمان للهدهد سمة من السمات الشخصية له عليه السلام ألا و هي اليقظة والحزم والدقة، لأنه لم يغفل عن غياب جندي واحد من جنوده، يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة بقوله: ما لي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين؟، ويتضح أنه غائب، ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى؛ ثم يسدل الستار على هذا المشهد ويحظر الهدهد الذي يحمل خبر مملكة بلقيس وجاءه بخبر يقين، حيث أنه أحاط بما لم يحط به نبي الله سليمان عليه السلام، فأخبره أنه وجدهم يسجدون للشمس من دون الله وقد زين الله لهم أعمالهم فصدهم عن سبيل الرشاد وأعمى بصائرهم، وهنا يعلّل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله الذي له قدرة اخراج الخبء من السموات والأرض، وهي كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض، "ويعلم ما تخفون وما تعلنون" مقابلة للخبء في السماوات والأرض بالخبء في أطواء النفس ما ظهر منه وما بطن؛ والهدهد إلى هذه اللحظة يقف موقف المذنب، الذي لم يقض الملك في أمره بعد فهو يلمح في ختام النبأ الذي يقصه، إلى الله الملك القهار، رب الجميع،

1 - ينظر: مفاتيح الغيب،ج24،ص552-553؛الكشاف عن حقاق غوامض التنزيل،ج3،ص362؛ ؛التفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج،ج19،ص281

صاحب العرش العظيم، الذي لا تقاس إليه عروش البشر، ذلك كي يطامن الملك من عظمته الإنسانية أمام هذه العظمة الإلهية، ثم قال ﷻ: الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم؛ فيلمس قلب سليمان- في سياق التعقيب على صنع الملكة وقومها- بهذه الإشارة الخفية، ونجد أنفسنا أمام هدهد عجيب صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب، فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم، وما هكذا تدرك الهداهد، إنما هو هدهد خاص أوتي هذا الإدراك الخاص، على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف، فسبحان الخالق.[1]

المطلب الرابع: الأمر الصريح بالسجود لله(سجدة النجم)

قال الله سبحانه : ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾[٦٢ ،النجم]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

ذكر الله سبحانه خلال سورة النجم نعمه على خلقه وإغنائه، وذكر أمثلة على قدرته بإهلاك من كفر بتلك النعم كقوم عاد وثمود ونوح، وأن الإحياء والإماتة بيد الله، وقد وبّخ سبحانه الإنسان على جحد بعض الأنعم التي منحه إياها، فيصيبه مثل ما أصاب الشاكّين المتمارين المجادلين بالباطل، ثم ذكّره بإنذار القرآن والرسول، وحين فرغ من بيان التوحيد والرسالة، ختم السورة ببيان اقتراب الآزفة أي يوم الحشر وحذّر من إنكار القرآن وتكذيبه، ومن التفريط بما جاء فيه، والغفلة والإعراض عن مواعظه وحكمه، ودعا إلى الانقياد التام لله عز وجل، وعبادته وحده لا شريك له بإتقان وإخلاص؛ فلما حث الله سبحانه عباده بالدأب في العمل في آخر السورة بقوله:" وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ" فسره مسببا عن الاستفهام ومدخوله قوله: {فاسجدوا} أي اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذي في الصلاة {لله} أي الملك الأعظم {واعبدوا } أي بكل أنواع العبادة فإنه {ما ضل صاحبكم} عن الأمر بذلك {وما غوى}.[2]

---

1 - ينظر: في ظلال القرآن،ج5،ص2639

2 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،ج19،ص85؛التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج،ج27،ص137

الفرع الثاني: التفسير والبيان

بيّن الله في هذه الآية ما يجب عند سماع القرآن من الإجلال والتعظيم له فقال: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾أي فاخضعوا وأخلصوا له العمل كونكم مسلمون ممتثلون لأمره، لا كالمشركين العصاة، فهو المستحق لذلك منكم، لأنه هو الذي أنزل قرآنه على عبده ونبيه مُحَمَّد ﷺ نورا وهداية للبشرية جمعاء لعلكم ترحمون، ويلزم ذلك ترك عبادة غير الله، كالأوثان والأصنام، التي لا تغنى عنكم شيئا، فلا تجلب منفعة ولا تصرف ضرا، كما قال آمرا رسوله أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[88،المؤمنون]، وقد ذكر الامام ابن تيمية أن في الآية أمر صريح بالسجود[1]، فنجد أن الرازي يرى "احتمال أن يكون الأمر عاما، ويحتمل أن يكون التفاتا، فيكون كأنه قال: أيها المؤمنون اسجدوا شكرا على الهداية واشتغلوا بالعبادة، ولم يقل: اعبدوا الله إما لكونه معلوما، وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله، فقال: واعبدوا أي ائتوا بالمأمور، ولا تعبدوا غير الله، لأنها ليست بعبادة، وهذا يناسب السجدة عند قراءته مناسبة أشد وأتم مما إذا حملناه على العموم"؛ ونجد في المقابل ابن عاشور وسيد قطب يقولان أن الأمر هنا للمشركين، يقول ابن عاشور: "مقتضى تناسق الضمائر أن الخطاب في قوله: فاسجدوا لله واعبدوا موجه إلى المشركين، وأن أمرهم بالسجود هنا فيه توبيخ لهم من شأنه أن يعمق في قلوبهم فيكفهم عما هم فيه من البطر والاستخفاف بالداعي إلى الله [2]) وعن قتادة في قوله {فاسجدوا لله واعبدوا} قال: أعنتوا هذه الوجوه لله وعفروها في طاعة الله، وقال القرطبي المراد بـ(فاسجدوا لله واعبدوا) سجود تلاوة القرآن، وقال ابن عمر: المراد سجود الفرض في الصلاة، أي إنه كان لا يراها من عزائم السجود[3]، ويرى القرطبي صحة القول الأول.[4]

---

1 - سجود التلاوة معانيه وأحكامه، تقي الدين بن احمد بن تيمية،ص21

2 التحريرو التنوير، ج27،ص161

3 - ينظر: تفسير المراغي،ج27،ص72؛سجود التلاوة معانيه وأحكامه،ص21؛ مفاتيح الغيب،ج29،ص287؛التحرير والتنوير،ج27،ص161؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور،ج7،ص668

4 - الجامع لأحكام القرآن،ج17،ص124

أما اذا أردنا تصويرا فنيا لمعنى الآية الكريمة، فإن سيد قطب يقول أن الآية عبارة عن صيحة مزلزلة مذهلة في السياق الذي جاءت فيه، وبعد تمهيد طويل ترتعش له القلوب سجد المشركون وهم يمارون في القرآن، ويجادلون في الله ورسوله، وكان سجودهم تحت مطارق هائلة وقعت على قلوبهم والحبيب ﷺ يتلوا عليهم هذه السورة وفيهم المسلمون والمشركون، فيسجدوا جميعا، ذلك لأنهم لا يملكون أن يقاوموا وقع هذا القرآن ولا أن يتماسكوا لهذا السلطان، ثم أفاقوا بعد فترة فإذا هم في ذهول من سجودهم كذهولهم وهم يسجدون، وهذا ما نقلته الروايات عن هذه الحادثة والتي لا تكون فيها غرابة في سبب هذا السجود، وكيف تكون غرابة من تأثير كلام الله في قلوب العباد، ويمكن أن يجرب كل انسان مع نفسه هذه التجربة الشعورية، فسيتضح له جليا سبب ذلك السجود؛ وقد تعددت الروايات التي فيها افتراء على الحبيب ﷺ وقد سميت بحديث الغرانيق، الذي أورده ابن سعد في طبقاته، وابن جرير الطبري في تاريخه، وحكم عليها ابن كثير انها من طرق كلها مرسلة ولم يرها مسندة من وجه صحيح؛ وأكثر هذه الروايات تفصيلا وأقلها إغراقا في الخرافة والافتراء على رسول الله ﷺ رواية ابن أبي حاتم قال: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي، حدثنا مُحَمَّد بن إسحاق الليثي، حدثنا مُحَمَّد ابن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر، وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم، فلما أنزل الله سورة النجم قال: «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى؟» ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال: وإنهن لهن الغرانيق([1]) العلى، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وزلت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن مُحَمَّدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم

1 – الغرانيق: الأصنام، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، واحدها: غرنوق وغرنيق، سمي به لبياضه. وقيل:=

=هو الكركي، والغرنوق أيضا: الشاب الناعم الأبيض. وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)،المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م،ت طاهر أحمد الزاوي – محمود مُحَمَّد الطناحي،ج3،ص364

سجد، وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله ﷺ فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين، فاطمأنت أنفسهم-أي المشركون- لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ وحدثهم به الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين، عثمان بن مظعون وأصحابه، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، وحدثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة، فأقبلوا سراعا، وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان، وأحكم الله آياته، وحفظه من الفرية، وقال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي»، فلما بين الله قضاءه وبرأه من سجع الشيطان، انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم على المسلمين، واشتدوا عليهم»؛ وهناك روايات اخرى قد رفضت منذ الوهلة الأولى لما فيها من مجافاة للنبوة وأن الحبيب ﷺ أراد مهادنة قريش ومراضاتها فذلك باطل؛ وذكر سيد قطب في تفسيره أنه بقي فترة يبحث فيها عن السبب الممكن لهذا السجود، حتى جاء ذلك اليوم الذي حصلت معه تجربته الشعورية الخاصة به والتي أشرنا إليها من قبل، حيث قال: (كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم؛ فانقطع بيننا الحديث، لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثرا وهو يرتل القرآن ترتيلا حسنا، وشيئا فشيئا عشت معه فيما يتلوه، عشت مع قلب مُحَمَّد ﷺ في رحلته إلى الملأ الأعلى، عشت معه وهو يشهد جبريل في صورته الملائكية التي خلقه الله عليها، ذلك الحادث العجيب المدهش حين يتدبره الإنسان ويحاول تخيله! وعشت معه وهو في رحلته العلوية الطليقة؛ عند سدرة المنتهى، وجنة المأوى، عشت معه بقدر ما يسعفني خيالي، وتحلق بي رؤاي، وبقدر ما تطيق مشاعري وأحاسيسي. [1]

1 - ينظر: في ظلال القرآن،ج6،ص3419-3421

المطلب الخامس: النهي عن السجود للمخلوقات والأمر بالسجود للخالق (سجدة فصلت)

قال سبحانه وتعالى: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩" [٣٨-٣٧ ،فصلت]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

بعدما بيّن الله أن أفضل أقوال وأعمال العباد هو الدعوة إلى الله تعالى، ذكر هنا سبحانه آياته الدالة على وحدانيته وقدرته وحكمته جل ثنائه وتفردت صفاته، فأورد هنا دلائل كونية فلكية أربعة، فمن آياته إيجاد الليل والنهار، والشمس والقمر الموجدان لليل والنهار، وهذه الآيات أثبتت تفرد الله بالخلق والأمر، ولأن الانسان مقيد بالمشاهدات لقصر عقله أورد الله له هذه الأدلة المشهودة، ولأنه يرى ما في هذه الآيات من منافع وبهاء حذر سبحانه من السجود لهما فقال: (لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ)،فلما نهى عن السجود لها، ناسب ذلك الأمر بالسجود له ﷻ بما يبين استحقاقه وعدم استحقاقهما أو استحقاق غيرهما فقال: (وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ)، فالله لا يرضى أن يشاركه أحد في العبادة لأن الله أغنى الأغنياء ولا يقبل إلا العبادة الخالصة له وحده، وفي الآية إشارة إلى الحث على صيانة بنو آدم عن أن يقع منهم سجود لغيره رفعاً لمقامهم عن أن يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجوداً لهم، فإنه سبحانه أمر الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدهم بالسجود آدم وهم في ظهره فتكبر اللعين إبليس، فلعنه، فشتان ما بين المقامين؛ ولما كان في الآية أمر بالسجود وهذا الأمر يكون بين طاعة ومعصية، عبر ﷻ بعدها بأداة الشك تنبيهاً لهم على أن استكبارهم.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يقول الله تعالى في الآية: (ومن ءاياته)، بمعنى دلائله سبحانه وإضافتها إليه لأنها دليل على وحدانيته وعلى وجوده، فبدأ الله هاهنا بذكر الفلكيات وهي الليل والنهار وإنما قدم ذكر الليل

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج17،ص195،التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج،ج24،ص234

على ذكر النهار تنبيها على أن الظلمة عدم، والنور وجود، والعدم سابق على الوجود، فهذا كالتنبيه على حدوث هذه الأشياء، وأما دلالة الشمس والقمر والأفلاك وسائر الكواكب على وجود الصانع، واختلاف الليل والنهار آية من آيات القدرة التي لا يفعلها غير الله ﷻ، فذاك دليل على انفراده بالصنع، يدل على تفرده بالإلهية، يقول ابن عاشور: المراد من ذكر الشمس والقمر حركتهما المنتظمة المستمرة فخلقهما قد عُلم من خلق السموات والأرض لأن الشمس أحد السبع سماوات والقمر تابع لها[1]، ويقول ابن عطية أن ذكرهما متضمن عجائبهما وحكمة الله فيهما ونفعه عباده بهما[2]؛ ويرى ابن عاشور أنه قد جرى الاعتبار بالشمس والقمر لأن هناك أقوام عبدوا الشمس والقمر وهم الصابئة[3]، فعن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب: لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة، وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصا، إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين، ويمثله قول سبحانه: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذَا رَبِّي)[76،الأنعام]،وكذلك قوم سبأ وقد ذكرنا قصتهم سابقا في سجدة النمل، وجاء ذكر السجود لله بعد النهي عن السجود للشمس والقمر، لأنه يفيد مفاد الحصر لأن النهي بمنزلة النفي، ووقوع الإثبات بعده بمنزلة مقابلة النفي بالإيجاب، فإنه بمنزلة النفي والاستثناء في إفادة الحصر، بمعنى لا تسجدوا إلا لله، أي دون الشمس والقمر وإن كانت تنفعكم، لأن النفع منهما إنما هو بتسخير الله إياهما، فهو الذي ينبغي أن يسجد له، يقول الرازي في تفسيره: أن السجدة عبارة عن نهاية التعظيم فهي لا تليق إلا بمن كان أشرف الموجودات([4])، وقوله: خلقهن لليل والنهار والقمر جمع مؤنث لأن حكم الجماعة مالا يعقل حكم المؤنث، وجملة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي

1 - التحرير و التنوير،ج24،ص298

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج5،ص17

3 - التحرير والتنوير،ج24،ص299

4 - مفاتيح الغيب،ج27،ص566

خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) معترضة بين جملة ومن آياته الليل والنهار، وبين جملة فإن استكبروا؛ ثم خاطب الله الذين لم يسجدوا واعدا لهم ومحتقرا لأمرهم، وأنه سبحانه غني عن عبادتهم بقوله: فإن استكبروا هؤلاء أي تعاظموا على اجتناب ما نهيت من السجود لهذين المحدثين المربوبين، وامتثال ما أمرت به من السجود للخالق لهن، فالذين عند ربهم بالمكانة والرتبة الشريفة ينزهونه عن ما لا يليق بكبريائه وهم الملائكة الصافون المسبحون له، وعند هنا ليست بظرف مكان إنما بمعنى القربة والمنزلة والزلفى والكرامة[1]، يقول ابن عطية: أنه يُروى أن تسبيح الملائكة قد صار لهم كالنفس لابن آدم، ولا يسأمون أي ولا يميلون عن ذكر الله ﷻ[2]، ويقول ابن حيان في تفسيره لا يملّون ذلك وهم خير من بنو آدم[3]، وقال البغوي: ولا يفترون.[4]

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية أنها عبارة عن شوط جديد في مجال الدعوة إلى الله، يبدأ بجولة مع آيات الله الكونية ألا وهي الليل والنهار والشمس والقمر، وفي المشركين من كان يسجد للشمس وللقمر مع الله، وهما من خلق الله، ويعقب ذلك بأنهم إن استكبروا عن عبادة الله فهناك من هم أقرب منهم إلى الله يعبدونه وهم الملائكة، وفي المقابل هذه الآيات مشهودة معروضة للأنظار، يراها العالم والجاهل، ولها في القلب البشري روعة مباشرة، ولو لم يعلم الإنسان شيئا عن حقيقتها العلمية، فبينها وبين الكائن البشري صلة أعمق من المعرفة العلمية، فهو من ثم يستقبلها بحسه العميق في هزة وإدراك مباشر، لهذا يوجه القرآن غالبا القلب إليها، ويوقظه من غفلته عنها، هذه الغفلة التي ترد عليه من طول الألفة تارة، ومن تراكم الحواجز والموانع عليه تارة، فيجلوها القرآن عنه، لينتفض جديدا يعاطف هذا الكون الصديق، ويتجاوب معه بالمعرفة القديمة العميقة الجذور؛ ثم يصور سبحانه صور الانحراف تلك التي تشير إليها الآية

---

1 - مفاتيح الغيب، ج27،ص565؛الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ج4،ص 200-201؛المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج5، ص18؛ البحر المحيط في التفسير،ج9،ص307 ؛ التحرير و التنوير،ج24،ص300-301

2 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج5، ص18

3 - البحر المحيط في التفسير،ج9،ص308

4 - تفسير البغوي،ج4،ص134

هنا، فقد كان قوم يبالغون في الشعور بالشمس والقمر شعورا منحرفا ضالا فيعبدونهما باسم التقرب إلى الله بعبادة أبهى خلائقه، فجاء القرآن ليردهم عن هذا الانحراف ويزيل الغبش عن عقيدتهم المدخولة، ويقول لهم: إن كنتم تعبدون الله حقا فلا تسجدوا للشمس والقمر، فالخالق هو وحده الذي يتوجه إليه المخلوقات جميعا، والشمس والقمر مثلكم يتوجهون إلى خالقهما فتوجهوا معهم إلى الخالق الواحد الذي يستحق أن تعبدوه، فإن استكبروا بعد عرض هذه الآيات، وبعد هذا البيان، فلن يقدم هذا أو يؤخر ولن يزيد هذا أو ينقص، فغيرهم يعبد غير مستكبر، وأقرب ما يرد على القلب عند ذكر «فالذين عند ربك» الملائكة؛ وقد يكون هنالك غير الملائكة من عباد الله المقربين لأن الانسان قاصر العقل يعلم إلا اليسير الضئيل، فهؤلاء وهم أرفع وأعلى، وهم أكرم وأمثل، ولا يستكبرون كما يستكبر أولئك المنحرفون الضالون في الأرض، ولا يغترون بقرب مكانهم من الله، ولا يفترون عن تسبيحه ليلا ونهارا «وهم لا يسأمون».[1]

المطلب السادس: نفي الإيمان عمن ذكّر بآيات الله ولم يسجد(سجدة السجدة)

قال الله سبحانه و تعالى: "إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ۩" [١٥،السجدة]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

بعدما ذكر الله ﷻ أنه قد قسم الناس قسمين لأجل الدار الدنيا والآخرة، وبعد بيان حال الكافرين في موقف الحساب يوم القيامة، من ذلة وخزي وخجل، وما يتعرضون له من عذاب شديد مخلّد، تشوقت النفس إلى معرفة صفات أهل الإيمان، كما ذكرت علامة الكفر، أبان الله تعالى حال أهل الإيمان في الدنيا، من طاعة ربهم، وتعظيمه، وحمده، والتقرب إليه بالنوافل، وما أعد لهم من نعيم وسرور، جزاء على أعمالهم فقال ﷻ: {إنما يؤمن بآياتنا} الدالة على عظمتنا {الذين إذا ذكروا بها} من أيّ مذكر كان، في أيّ وقت كان، قبل كشف الغطاء وبعده {خروا سجداً} أي بادروا إلى السجود مبادرة منه كأنه سقط من غير قصد، خضعاً لله من شدة تواضعهم وخشيتهم واخباتهم له خضوعاً ثابتاً دائماً {وسبحوا} أي أوقعوا التنزيه عن كل

1 - ينظر: في ظلال القرآن،ج5،ص3124-3125

شائبة نقص، من ترك البعث المؤدي إلى تضييع الحكمة ومن غيره متلبسين {بحمد} ولفت الكلام إلى الصفة المقتضية لتنزيههم وحمدهم تنبيهاً لهم فقال: {ربهم} أي بإثباتهم له الإحاطة بصفات الكمال، ولما تضمن هذا تواضعهم، صرح به في قوله: {وهم لا يستكبرون} أي لا يجددون طلب الكبر عن شيء مما دعاهم إليه الهادي ولا يوجدونه خلقاً لهم راسخاً في ضمائرهم.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يخبر الله سبحانه عن عباده المؤمنين ذاكرا شيئا من صفاتهم قائلا: (إنما يومن بآياتنا)، أي آيات الله والآيات الكونية وبالرسل المرسلين، ويرى ابن عاشور أن المراد بالآيات هي القرآن الكريم[2]، وذلك بدليل قوله الذين إذا ذكّروا بها بتشديد الكاف، أي أعيد ذكرها عليهم وتكررت تلاوتها على مسامعهم سقطوا بأعضائهم وجباههم ساجدين لله، تذللا وخضوعا، وإقرارا بالعبودية، ونزّهوه في سجودهم عما لا يليق به من أوضار الشرك كاتخاذ الصاحبة والولد والشريك، حامدين ربهم على آلائه ونعمه، أي جامعين بين التسبيح والتحميد بأن يقولوا: سبحان الله وبحمده، سبحان ربي الأعلى، وهم لأن قلوبهم عامرة بالإيمان لا يستكبرون عن طاعة ربهم، ويتبعون الآيات وينقادون لها، ليس كما يفعل الكفرة الجهلة الفجرة الذين يتولون مستكبرين، فأولئك لهم عذاب أليم، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ﴾[غافر،60]، وهناك معنى آخر لآيات الله في هذا الموضع ذكره ابن الجوزي في تفسيره قد يمثل جزءا من المقصود وهي أن آيات الله هي الفرائض من الصلوات الخمس إذا ذكروا بها بالأذان والإقامة خروا سجدا[3]، ويقول الطبري: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا (خَرّوا) لله (سجدا) لوجوههم، (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أي وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ولا يضيفون

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج15،ص253-254؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج21،ص205

2 - التحرير والتنوير، 21،227

3 - زاد المسير في علم التفسير،ج3،ص439

إليه صاحبة ولا ولدا ولا شريك ولا ند، وهم مع ذلك (لا يستكبرون) ويفعلون ذلك، ولا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة لله ﷻ.[1]

يذكر ابن عاشور أن إنما في الآية تفيد القصر، بمعنى يؤمن بآيات الله الذين إذا ذكروا بها تذكيرا بما سبق لهم سماعه لم يتريثوا عن إظهار الخضوع لله دون الذين قالوا: "أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ" [السجدة،10]، وهذا تأييس للنبيء صلى الله عليه وسلم من إيمانهم، وتعريض بهم بأنهم لا ينفعون المسلمين بإيمانهم ولا يغيظونهم بالتصلب في الكفر؛ كما تفيد صيغة المضارع في (إنما يؤمن) استمرار وتجدد ايمانهم، وازديادهم يقينا وقتا فوقتا، كما تقدم في قوله تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ "[البقرة ،15]، وإلا فإن المؤمنين قد حصل إيمانهم فيما مضى، ففعل المضي يحكي حالهم في الكلام المتداول فقط لولا هذه الخصوصية، ولهذا عرفوا بالموصولية والصلة الدال معناها على أنهم راسخون في الإيمان، فعبر عن إبلاغهم آيات القرآن وتلاوتها على أسماعهم بالتذكير المقتضي أن ما تتضمنه الآيات حقائق مقررة عندهم لا يفادون بها فائدة لم تكن حاصلة في نفوسهم ولكنها تكسبهم تذكيرا ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات،55]؛ وهذه الصفة التي تضمنتها الصلة، هي حالهم التي عرفوا بها لقوة إيمانهم وتميزوا بها عن الذين كفروا، وليست تقتضي أن من لم يسجدوا عند سماع الآيات ولم يسبحوا بحمد ربهم من المؤمنين ليسوا ممن يؤمنون، ولكن هذه حالة أكمل الإيمان وهي حالة المؤمنين مع النبيء ﷺ يومئذ عرفوا بها، ومن ثمّ خروا سجدا أي سقطوا على وجوههم ساجدين، شكرا له على ما حباهم به من العلم والإيمان كما دل عليه قرنه بقوله وسبحوا بحمد ربهم، ثم قال ﷻ: وهم لا يستكبرون قال ابن كثير: لا يستكبرون عن اتباعها والانقياد لها، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ﴾ [غافر،60] .[2]

هذه الآية الكريمة تتضمن بعض صفات المؤمنين العبادة، والتقديس مع الحمد بحيث أنهم يخرون سجدا لله تعالى على وجوههم، تعظيما لآياته، وخوفا من سطوته وعذابه، وأنهم يقرنون

1 - ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن،ج20،ص177 ؛التحرير والتنوير،ج21،ص227؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج21،ص206

2 -ينظر: تفسير القرآن العظيم،ج6،ص336؛ التحرير والتنوير،ج21،ص227-228

هذا التقديس والتسبيح أي التنزيه بالتحميد، فيقولون في سجودهم: سبحان الله وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده أي تنزيها لله تعالى عن قول المشركين؛ وصفة أخرى لهم وهي الطاعة والانقياد فهم ينقادون لأمر ربهم، فلا يستكبرون عن عبادته، كما استكبر أهل مكة وأمثالهم بعدهم عن السجود لله تعالى؛ وقد أتبعها بصفات أخرى في الآية التي تليها وهي التهجد أو قيام الليل، والدعاء الخالص لله، والإنفاق في وجوه الخير: ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً، وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[السجدة،16].[1]

جاء في تفسير الشعراوي أن الخرور للسجود يكون هُوِيّا إلى الأرض دون تفكير، يعلق سيد قطب قائلا أنها في الآية صورة وضيئة للأرواح المؤمنة بالله حق ايمان، لطيفة بالقرب لربها، حساسة مرتجفة من خشية الله وتقواه، متجهة إلى ربها بالطاعة وكلها رجاء، لا استعلاء ولا استكبار في هذه الأرواح المؤمنة بآيات الله، فتتلقاها بحس وقلب مستيقظ وضمير مستنير، يقول الشعراوي كل سجود في القرآن الكريم مقرون بمادة "خرّ"، بدليل أنها أصبحت ملكة عند المسلم المكلف المطيع، ويؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾ [الإسراء، 107]، فهو سجود يأخذ الذقن حيث أن الساجد في قمة الذلة لربه وهو سجود فوق سجود الصلوات التي نعرفها، فكلما ازداد المسلم ذلة لربه ازداد خشوعا، وكأنه عشق التكليف وأحب أوامر الواحد الأحد، فبالغ في الذلة والعبودية له ﷻ، وهذه الحالة تفسر لنا قول الحبيب ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء»[2]،ففي السجود نضع جباهنا ووجوهنا على الأرض وهي رمز العلو والرفعة بالنسبة للإنسان، فنضعها على الأرض خضوعا لله عز وجل، تعبيرا عن الإحساس الذي لا يعبر عنه إلا تمريغ الجباه مع حركة الجسد بالسجود، فهي استجابة الطائع الخاشع، المنيب الشاعر بجلال الله الكبير المتعال.[3]

1 - ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج21،ص207-208

2 - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)،ت شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط1، 1421 هـ - 2001 م، مسند أبي هريرة ﷺ،ح9461،ج15،ص274

3 - ينظر: تفسير الشعراوي،ج19،ص11830؛ في ظلال القرآن،ج5،ص2812

المطلب السابع: الأمر الصريح بالسجود عند سماع القرآن (سجدة الانشقاق)

قال الله تعالى: "وَإِذَاقُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩" [الإنشقاق،٢١]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما ظهر اعراض المعاندين وكفرهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾[الانشقاق،20]، سبّب عن ذلك الإنكار عليهم، والتوبيخ، والتقريع، والتهديد، فقال معرضاً عن خطابهم إلى الغيبة،إيذاناً باستحقاقهم للأخذ إن لم يرجعوا: {فما لهم} أي وأي شيء لهؤلاء الذين أنزلنا عليهم هذا الكتاب المعجز في أنهم {لا يؤمنون } لا يوقعون ولا يجددون ايمانهم ولا يستمرون عليه بهذا الكتاب الذي خصهم بهم الله سبحانه، لأن من كان اليوم على حالة وغداً على أخرى جدير بأن يعلم أن تدبيره إلى سواه، قيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على الصانع؟ قال: تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الأركان وقهر المشيئة، وفسخ العزيمة، ثم قال:{وإذا قرىء} أي من أي قارىء كان {عليهم القرآن} أي الذي يجمع ما ينفعهم في حياتهم الدنيا قبل الآخرة، وهو دستور حياتهم والذي يفرق لهم بين الحق والباطل ويبيّن لهم حلال الأمور وحرامها وغير ذلك، ثم{لا يسجدون} أي لا يخضعون بالقلب ولا يتذللون للحق لتلاوته لأنه ملك الكلام، وقد أبان عن معارف لا تحصر، مع الشهادة لنفسه بإعجازه أنه من عند الله، ليس لهم في ذلك عذر إلا الجهل أو العجز، ولا جهل مع القرآن ولا عجز مع القوة والاختيار.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يخبر المولى عز وجل في هذه الآيات عن أولئك الكفار المعاندين الذين أبوا السجود لله برغم أنهم علموا صحة نبوة مُحَمَّد ﷺ التي توجب طاعته في الأوامر والنواهي، وكانوا أهل اللغة والفصاحة والبلاغة، فعند سماعهم القرآن لا بد أن يعلموا كونه معجزا، فقد استبعد الله منهم عند سماعهم القرآن أن يسجدوا له ويطيعوه، فقال فيهم: ﴿وَإِذَاقُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩﴾ [الإنشقاق،٢١] ، قال الزمخشري: "بمعنى لا يستكينون ولا يخضعون"[2]، أي

1 - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور،ج21،ص348-349

2 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،ج4،728

مانع لهم من سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن الذي دل إعجازه على كونه منزلا من عند الله تعالى، ويكون سجودهم إعظاما وإكراما واحتراما لآي القرآن، و(لا يسجدون) عطف على لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن ظرف قدم على عامله للاهتمام به وتنويه شأن القرآن، وقراءة القرآن عليهم قراءته تبليغ ودعوة، فلا يخضعون لله ولمعاني هذا القرآن وحجته، ولا يؤمنون بحقيقته، ودليل هذا المعنى مقابلته بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشقاق، 22]، والسجود مستعمل بمعنى الخضوع والخشوع[1] كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾ [الرحمن، 6]،ويذكر الرازي قول ابن عباس والحسن وعطاء والكلبي ومقاتل: المراد من السجود الصلاة وقال أبو مسلم: الخضوع والاستكانة، وقال آخرون: بل المراد نفس السجود عند آيات مخصوصة، وهذه الآية منها.[2]

يتبيّن من خلال الآية أن الذي يمنع هؤلاء المشركين عن الايمان بالله ورسوله والقرآن الذي نزّله عليه، هو عدم نظرهم وتأملهم في دلائل الله الكونية والمشهودة التي تورث هذا الإيمان، ويُفهم من خلالها أن التدبر في آيات الله ومخلوقاته يزيد من رصيد الإيمان.[3]

يذكر سيد قطب تصويرا بديعا لهذه الآية حيث يقول أن الله يخاطب لغة فطرة الإنسان ويفتح قلبه على موحيات الإيمان ودلائله في الأنفس والآفاق، ويستجيش في هذه القلوب مشاعر التقوى والخشوع والطاعة والخضوع لبارئ الوجود، فيترجمها بالسجود لله، وتصل حلاوة القرآن وطلاوته إلى القلب البشري من خلال لمحات وومضات هذا الكون الجميل الذي فيه ما يستجيش القلب بحيث يوصله إلى أسمى مشاعر الاستجابة والخشوع؛ و هذا الأمر عجيب حقا، يضرب عنه سياق الآيات ليأخذ في بيان حقيقة حال الكفار، وما ينتظرهم من مآل.[4]

1 - التحرير والتنوير،ج30،ص232؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص147

2 - ينظر: مفاتيح الغيب،ج31،ص104

3 - ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص149

4 - ينظر: في ظلال القرآن،ج6،ص3869

المطلب الثامن: نهي أبو جهل رسول الله ﷺ عن السجود لله(سجدة العلق)

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [١٩،العلق]

الفرع الأول: مناسبة الآية لما قبلها

لما تقدم في الآيات نهي الناهي عن الصلاة والسفع بناصيته إن لم ينته وأمره بدعاء ناديه، وكان الحكم في الأول أنه لا يجيبه إلى ترك الصلاة، وفي الثاني أن الناهي لا ينتهي عن عصيانه بالتهديد وأنه لا يفيده دعاء ناديه، فالكل منفي، فقد ذكر خلال السورة الكريمة صورا من طغيان الإنسان أو طغيان أبو جهل بصفة خاصة منها نهي مُحَمَّد ﷺ عن الصلاة والعبادة؛ فناسب بعد هذا تهديده ووعيده بالعقاب الشديد والنكال الأليم يوم العرض والحساب، من غير أن يجد نصيرا ينصره أو معينا يمنعه من العذاب؛ وقد ختمت السورة بأمر النبي ﷺ بعدم طاعة هذا الطاغية، والإقبال على عبادة ربه، والتقرب إليه بالطاعة.[1]

الفرع الثاني: التفسير والبيان

يخاطب الله سبحانه نبيه مُحَمَّد ﷺ قائلا له: ﴿كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي إياك يا مُحَمَّد أن تجامل هذا الطاغية وهو أبو جهل في شيء، أو تطيعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ونظير ذلك قوله ﷻ:﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[القلم ، 8] ، وصل لله غير مكترث به، ولا مبال بتهديده أو نهيه، وتقرب إلى الله سبحانه بالطاعة والعبادة، فذلك يكسبك قوة وعزة، ومنعة وهيبة في قلوب الأعداء، والعبادة هي الحصن والوقاية، وطريق النجاة والنجاح والنصر؛ وقوله: كَلَّا ردع لأبي جهل عن قبائح أحواله وأفعاله، ويذكر الرازي أقوالا فيها فقد قيل: " معناه لن يصل إلى ما يتصلف به من أنه يدعو ناديه ولئن دعاهم لن ينفعوه ولن ينصروه، وهو أذل وأحقر من أن يقاومك، ويحتمل أن يكون المعنى: لن ينال ما يتمنى من طاعتك له حين نهاك عن الصلاة، وقيل معناه: ألا لا تطعه؛ وكل المعاني محورها أن المراد بنهي النبي ﷺ عن طاعة أبي جهل: قطع كل الصلات والعلاقات معه، ويذكر الرازي أن معنى واسجد عند أكثر أهل التأويل أراد به صلّ وتوجه إلى عبادة الله تعالى فعلا وإبلاغا، ويطمئن الله رسوله بأن لا يشغل فكره بهذا الطاغية فإن الله مقويه وناصره، وقال بعضهم: بل المراد الخضوع، وقال آخرون: بل

1 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج22،ص172؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص146

المراد نفس السجود في الصلاة[1]، وفي الأمر بالسجود اشارة إلى زيادة غيظ الكافر بالخضوع لله وحده كما في قوله ﷻ: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الْفَتْحِ، 29]، وهذا تهكم بهذا الطاغية، واستخفاف به، وتعريض بأن الله سبحانه وتعالى عاصم نبيه وحافظه، وعطفت "واسجد واقترب" للتنويه بما في الصلاة من مرضاة الله تعالى بحيث تجعل المصلي مقتربا من الله تعالى، وأطلقت الطاعة على الحذر الباعث على الطاعة على طريق المجاز المرسل، والمعنى: لا تخفه ولا تحذره فإنه لا يضرك، والاقتراب: افتعال من القرب، عبر بصيغة الافتعال لما فيها من معنى التكلف والتطلب، أي اجتهد في القرب إلى الله بالصلاة، وفي الحديث عن النبي ﷺ الذي رواه مسلم وغيره من الرواة أنه قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[2] .[3]

من خلال الآية الكريمة وصف الله سبحانه أبا جهل وأمثاله من الطغاة والمتمردين، فيما أمر النبي ﷺ من الانتهاء عن عبادة الله ودعاه إلى عبادة الأوثان، فدعوة هذا الداعي ان دلت على شيء إنما تدل على تكذيبه بآيات الله واعراضه عن الايمان بالله ﷻ، وقد هدده الله في هذه الآيات وتوعده بالعذاب، ويتبيّن من خلال هذه الآيات أن كل من نهى عن طاعة الله ﷻ هو شريك أبو جهل في هذا الوعيد، وقد تحدى الله هذا الكافر الطاغية مع التهكم والتوبيخ، وقد صغّر من شأنه وأبان عجزه، فليس الأمر كما يظنه أبو جهل وأمثاله، ودعا الله رسوله بالسجود طاعة وتقربا وعبادة له ﷻ[4]، ويؤكد هذا ما ذكره سيد قطب في تفسيره أن دلالة السورة عامة في كل مؤمن طائع عابد داع إلى الله، وكل طاغ باغ ينهى عن الصلاة، ويتوعد على الطاعة، ويختال بالقوة؛ وهذا التوجيه الرباني موجه لكل مؤمن: «كلا! لا تطعه واسجد واقترب».[5]

---

1 - مفاتيح الغيب ، ج32،ص226

2 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ(صحيح مسلم)،باب ما يقال في الركوع،ح482،ج1،ص350

3 - ينظر: مفاتيح الغيب،ج32،ص226؛ التحريروالتنوير،ج30،ص453؛التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص327

4 - ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،ج30،ص328-329

5 - في ظلال القرآن،ج6،ص3943

الخاتمة:

بحمد الله وعونه وتوفيقه تم هذا البحث والذي يدرس آيات سجود التلاوة دراسة موضوعية تحليلية، ومن خلاله نستفيد أمورا عدة:

- ان سجود التلاوة هو السجود في مواضع معينة أثناء تلاوة القرآن.
- اتفق العلماء السلف و أهل المذاهب الفقهية أن عدد آيات السجدات هي خمس عشرة آية جملةً، مع اختلاف العدد عند كل مذهب، فعند الشافعية والحنفية أربعة عشر، وعند المالكية إحدى عشر، وعند الحنابلة أنها اربعة عشر أو خمس عشرة سجدة.
- ان الله سبحانه يأمر عبيده بالتخلق بأخلاق الملائكة في الذكر، فهُم مع عصمتهم إلا أنهم مواظبون على ذكر الله وتسبيحه، فالإنسان أولى أن يذكر الله مثلهم لابتلائه بالشهوات.
- ان الله يسجد له أهل السموات والأرض، وظلالهم حتى وان أبوا السجود له سبحانه، ويدل ذلك عن الخضوع لمشيئة الله بهذا السجود.
- ان المؤمن الممتثل لله بالسجود هو من الفريق الممدوح عند الله، لتشبهه بحال الملائكة في السجود لله جل ثنائه.
- ان الذين اوتوا العلم من قبل وهم أنبياء الله أو أهل الكتاب الذين آمنوا، هؤلاء أشد الناس تأثرا بالقرآن، وأكثرهم خشوعا، حيث ان سمعوه خروا سجدا لله.
- سُمِّي سجود سيدنا داوود عليه السلام ركوعا، ويعود ذلك إلى احتمالات عدة: قد يكون ذِكرا لأول احوال الخرور، أو أن الركوع هنا هو السجود عند بني اسرائيل، ويجوز

الخاتمة

ان يكون السجود عبادة الأنبياء في كثير من شرائع الاسلام، كانت خاصة بهم من قبل.

- ان لكل جنس من اجناس الكون سجود يناسبه، لأن الحكمة بالتقرب إلى الله لا بهيئة السجود.
- يوجّه الله سبحانه الأمر بالسجود لعباده المؤمنين في بعض مواضع القرآن، كسجدة الحج الثانية، لأنهم مكلفون، أما الذين كفروا فليسوا اهلا لحمل هذه الأمانة، وهذا التكليف.
- ذمَّ اللهُ المعرضين عن السجود، والذين تحجّجوا بتكذيبهم برسالة مُحَمَّد ﷺ، وأن الذي أمرهم هو الرسول ﷺ، وليس الله ﷻ.
- ان السجود لله جاءت به رسائل التوحيد كلها، ومثال ذلك قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد الذي جاءه بخبر مملكة سبأ، والذين كانوا يسجدون للشمس من دون الله.
- رغم اعراض المشركين عن السجود لله، إلا أن تأثير القرآن أقوى من اعراضهم، ولا عجب في ذلك، وكيف وان كان بصوت مُحَمَّد ﷺ، لدرجة أنهم سجدوا عند سماع سورة النجم، وأكبر مثال لهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه؛ ونرى في ذلك اشارة إلى أن حسن صوت التالي أكثر وقعا على القلب.
- ان الوساطة في التقرّب إلى الله بمخلوقاته والسجود لها انحراف في العقيدة، لأن الله سبحانه قريب منّا، أقرب من هذه المخلوقات جميعا.
- كلما ازداد المسلم ذلّة لربه ازداد خشوعا، حتى تصبح العبادة ملكة فيه، فيعشق التكليف ويواظب عليه.
- ان السجود لله هو ترجمة لمشاعر التقوى والخشوع والطاعة والخضوع لله سبحانه.

الخاتمة

- ان التوجيه الرباني في الأمر بطاعة الله، وعدم الإصغاء لمن ينهى عن طاعة الله سبحانه، لا يقتصر على النبي ﷺ فقط، بل هو عام لكل مسلم.

ونوصي في ختام هذا البحث طلبة العلم، بدراسة هذا الموضوع بصفة أدق وأوسع، كأن يدرسه من ناحية أثر هذه الآيات في إيمان المسلم.

ونأمل من الله سبحانه أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون ذو فائدة ولو بالقليلة لطلاب العلم.

وصلّ اللهم على سيد المحبين، وخاتم المرسلين، سيدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ﴾	10	31
﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	15	49
﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُور رَّحِيم﴾	226	17
سورة الأنعام		
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هَذا رَبِّي...﴾	76	45
الأعراف		
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	34	8
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٤ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً	205	12

وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩﴾	206	12/8
الرعد		
﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾	15	14/8
النحل		
﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖۚ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ٤٧﴾	47-45	17
﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ	50	17/8

وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩﴾		
﴿إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾	53	12
	الإسراء	
﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾	108-107	21
﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩﴾	109	22/19/8
مريم		
﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾	42	39
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ	58	23/9

نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴿٥٨﴾		
الحج		
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴿١٨﴾	18	29/15/9
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴿٧٧﴾	77	31/9
المؤمنون		
﴿قُلۡ مَنۡ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾	88	41
﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾	115	11
الفرقان		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ	60	34/9

نُفُورًا ﴿		
النمل		
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	26-25	37/9
السجدة		
﴿أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ﴾	10	49
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	15	46/9
﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً، وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	16	50
سورة ص		
﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾	42	26/9
غافر		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي	60	49

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ﴾		
فصلت		
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩"﴾	38-37	44/9
الذاريات		
﴿فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	62	49
النجم		
﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟۩﴾	62	40\10
الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾	4	13
الرحمن		
﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ﴾	6	52
القلم		
﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾	8	53
الانشقاق		
﴿فَمَا لَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾	20	51
﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾	22	52
﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾	21	51\9
العلق		

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩﴾	19	53/10

فهرس الأحاديث:

الحديث أو طرفه	الصفحة
" إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي..."	3
"قرأت على النبي ﷺ والنجم قرأت على النبي ﷺ والنجم... "	3
"يا أيها الناس إنا نمر بالسجود، فمن سجد، فقد أصاب.."	4-3
" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته... "	4
"كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده..."	5
" قرأ رجل سورة فيها سجدة عند النبي ﷺ، فلما فرغ... "	5
" قرأت عند ابن مسعود السجدة فنظرت إليه ..."	5
" إنما السجدة على من سمعها..."	5
"كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن... "	5
" جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة... "	6
"مرحبا بالنبي الصالح و الأخ الصالح"	20

فهرس الأحاديث

اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا"	21
"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة..."	29
" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد... "	48\44
" أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه "...	37
" أنزلت سورة النجم، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه "...	37

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم(خط النسخ الحاسوبي–حفص–، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، النسخة8)

1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،1415 هـ - 1995 م
2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، ت مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي - بيروت
3) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، ت صدقي مُحَمَّد جميل،دار الفكر – بيروت،1420 هـ
4) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت 587هـ)،دار الكتب العلمية،ط2، 1406هـ - 1986م،ج1،ص180
5) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت1205هـ)،ت مجموعة من المحققين، دار الهداية
6) التبيان في سجدات القرآن ،عبد العزيز السدحان ، دار المنار ،ط1409،1هـ 1989م

قائمة المصادر والمراجع:

7) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر تونس،1984م

8) التعريفات الفقهية ،مُحَمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية ،ط1 ،1424هـ-2003م

9) تفسير الشعراوي (الخواطر)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، مطابع أخبار اليوم،1997م

10) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي البصري (ت774هـ)، ت سامي بن مُحَمَّد سلامة،دار طيبة للنشر والتوزيع،ط2، 1420هـ - 1999 م

11) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1365،1 هـ _1946 م

12) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – بيروت دمشق

13) تيسير الكريم الرحمن(تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،ط1420،1هـ -2000 م

14) جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت310هـ)، ت أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م

قائمة المصادر والمراجع:

15) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)،مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري، مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422هـ

16) الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)، أبو عبد الله مُحَمَّد شمس الدين القرطبي (ت671هـ)، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ - 1964 م

17) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)،ت الدكتور أحمد مُحَمَّد الخراط،دار القلم، دمشق

18) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (ت 597هـ)، ت عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1422 هـ

19) سجود التلاوة معانيه و أحكامه، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (728هـ)،ت فواز أحمد زمرلي ،دار ابن حزم ،ط2، 1426هـ 2005م

20) سجود التلاوة و أحكامه ،صالح اللاحم ،سلسة البحوث العلمية المحكمة ، دار ابن الجوزي

21) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)،ت شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية،ط1، 1430 هـ _2009 م

22) سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت 279هـ)،ت أحمد مُحَمَّد شاكر (جـ 1، 2)ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ

قائمة المصادر والمراجع:

3)وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر،ط2، 1395 هـ 1975م،ط1، 1418 هـ

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،ت مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ،دار المعرفة بيروت، 1379هـ

23) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت1385هـ)، دار الشروق بيروت القاهرة، ط17، 1412هـ

24) الكافي في فقه أهل المدينة ،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)،مُحَمَّد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة الرياض المملكة العربية السعودية،ط2 1400هـ/1980م

25) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت،ط3، 1407 هـ

26) لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الإفريقي(711هـ) ،دار الصادر بيروت ،ط3 ، 1414هـ

27) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو مُحَمَّد بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، ت عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1422 هـ

28) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي (666هـ) ، ت يوسف الشيخ مُحَمَّد ،المكتبة العصرية (الدار النموذجية بيروت)صيدا، ط 5 ، 1420هـ _1999م

29) مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (ت 316هـ)، ت أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة – بيروت،ط1، 1419هـ- 1998م

قائمة المصادر والمراجع:

30) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت261هـ)،ت مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

31) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ)،ت كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض،ط1، 1409هـ

32) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت 211هـ)،ت حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي الهند ويطلب من المكتب الإسلامي بيروت،ط1403،2هـ،

33) المغني، أبو مُحَمَّد موفق الدين بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، مكتبة القاهرة،1388هـ - 1968م

34) مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420 هـ

35) مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس ابن زكريا (395هـ)، ت عبد السلام مُحَمَّد هارون ،دار الفكر ، 1399هـ _1979م

36) المنتقى شرح الموطأ،أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت 474هـ)،مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر،ط1، 1332 هـ

37) المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت 476هـ)،دار الكتب العلمية

38) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي القاهرة

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
الملخص الإهداء الشكر والتقدير المقدمة	أ – و
المبحث الأول (التمهيدي): مفهوم سجود التلاوة وحكمها وما يقال فيها، وعدد السجدات في القرآن.	**1–10**
المطلب الأول: مفهوم سجود التلاوة.	01
الفرع الأول: سجود التلاوة لغة.	01
1- تعريف السجود لغة	01
2- تعريف التلاوة لغة	02
الفرع الثاني: تعريف سجود التلاوة اصطلاحا	02
المطلب الثاني: حكم سجود التلاوة.	03
الفرع الأول: أدلة الحنفية (القائلون بوجوب سجود التلاوة)	03
الفرع الثاني: أدلة الجمهور (القائلون بسنية سجود التلاوة)	04

فهرس الموضوعات:

المطلب الثالث: حكم السجود لسامع ومستمع التلاوة.	06
المطلب الرابع : ما يقال في سجود التلاوة.	07
المطلب الخامس: عدد آيات سجود التلاوة.	08
المبحث الثاني: الخبر عن أهل السجود والمدح لهم.	**11-31**
المطلب الأول: ذكر السجود بعد الأمر باستماع القرآن والذكر(سجدة الأعراف)	12
المطلب الثاني: سجود أهل السموات والأرض لله(سجدة الرعد)	14
المطلب الثالث: سجود الملائكة والدواب والجمادات(سجدة النحل)	16
المطلب الرابع: سجود الذين أوتوا العلم(سجدة الإسراء)	19
المطلب الخامس: سجود الأنبياء (سجدة مريم وسجدة ص)	22
الفرع الأول: سجود الأنبياء عامة (سجدة مريم)	23
الفرع الثاني: سجود النبي داوود عليه السلام(سجدة ص)	26
المطلب السادس: سجود العوالم العلوية و السفلية لله (سجدة الحج الأولى)	29
المبحث الثالث: آيات الأمر والذم للمعرضين عن السجود لله.	**31-55**
المطلب الأول: الأمر بالسجود المقرون بالركوع(سجدة الحج الثانية)	31

فهرس الموضوعات:

المطلب الثاني: ذمُّ من أُمر بالسجود وأعرض(سجدة الفرقان)	34
المطلب الثالث: خبر مقرون بذم من أُمر بالسجود فأبى(سجدة النمل)	37
المطلب الرابع: الأمر الصريح بالسجود لله(سجدة النجم)	40
المطلب الخامس: النهي عن السجود للمخلوقات والأمر بالسجود للخالق(سجدة فصلت)	44
المطلب السادس: نفي الإيمان عمن ذكّر بآيات الله ولم يسجد(سجدة السجدة)	47
المطلب السابع: الأمر الصريح بالسجود عند سماع القرآن (سجدة الانشقاق)	51
المطلب الثامن: نهي أبو جهل رسول الله ﷺ عن السجود لله(سجدة العلق)	53
الخاتمة	55
فهرس الآيات	59
فهرس الأحاديث	66
قائمة المصادر والمراجع	68

فهرس الموضوعات: